



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية



مذكرة تخرج بعنوان:

كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

في العلوم الإسلامية - تخصص: اللغة العربية والدراسات القرآنية

المشرف:

د. حمزة بوخرنة

الطالبتان:

- خنوفة يسرى

- بالقط حليلة



الإهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره،

أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائله،

فإننا نهدي هذا العمل المتواضع إلى أمهاتنا وآباءنا لمن كان منهم

ولمن كان منهم ميّتا بنزول شئاييب الرحمات على قبورهم

فنقول لهم أنتم وهبتمونا الحياة والأمل والنشأة على شغف العلم والاطلاع والمعرفة

والجد والاجتهاد والتفاني في العمل والإخلاص فيه.

ونهديه أيضا إلى كل من علّمنا حرفا فأصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامنا، وإلى

كل من علّمنا معنى النّجاح والصبر.

شكر وتقدير

الحمد لله الكريم المنان، والشكر له على جزيل الفضل والامتنان، يسّر لنا وأعاننا على دراسة سعدنا بها في ظلال السنّة والقرآن، فيارب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك.

مصداقا لقول الله عزّ وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وطاعة لأمر رسول الله حيث قال: " لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس"، فإنّه يطيب لنا أن نتقدّم بجزيل الشكر، والوفاء والثناء، وبخالص الدعاء، لكل من ساعدنا في هذه الرسالة ولو بحرف واحد، ونتوجه بجزيل الشكر لوالدينا لمن كان منهم حيّا و بالدعاء لمن كان منهم ميّتا، وفي هذا المقام مقام الشكر والعرفان لأهل الفضل والعلم والإحسان، فإنّنا نسدي جزيل الشكر والتقدير لمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، وبالأخص قسم الحضارة الإسلامية، ونخص بالشكر والثناء والتقدير المشرف علينا في هذه الرّسالة فضيلة الشيخ الدكتور حمزة بوخرزة الذي كان له الفضل بحسن توجيهاته لنا، وجميل إرشاداته التي كان لها الأثر الواضح في التقويم والتصحيح، فبارك الله له في علمه وعمله وأقرّ عينه بصلاح الولد والأهل وتحقيق الأمل ورفع درجاته في الجنّة بما هو أهل له، كما لا ننسى أن نتوجه بالثناء للأساتذة الذين واضبطوا على تدريسنا طيلة مرحلة ليسانس.

ملخص الدراسة وترجمتها

إنّ كتابنا هذا الموسوم بإعجاز القرآن للإمام أبي بكر الباقلاني، قد بسط فيه القول للإبانة عن وجه معجزة القرآن الكريم، وللدلالة على مكانته السامية، وذكر فيه جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التي تعرض للجهاول وأفهامهم من الطعن في وجه معجزته الخالدة، مضيفا إليه ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب، وترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سب البراعة، وما يشتبه له ظاهر الفصاحة، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع.

ترجمة ملخص الدراسة

And our book entitled The inimitability of the Quran by imam Al Qadi Abu Bakr Al-Baqlani, explained in it the inimitability of the Holy Qur'an, and to signify its sublime stature. In it the mentioned a set of words that are inclusive, dropping the suspicions, and doubts that are presented to the ignorant and their understanding which suspect in the face of his eternal miracle, and the arrangement of the faces of speech, and what the methods of rhetoric differ, and on its part the methods of ingenuity differ, and the apparent suspicion of eloquence, and the different people of the arab industry differ in it, and the knowledge of lisan EL-Arab in the origin of the situation.

مقامتہ

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله أرسله ربه بالبيان، فأظهر دينه القويم على سائر الأديان، بلغ الرسالة، أدى الأمانة، نصح الأمة، كشف الغمة، جاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين من ربه، فتركنا على المحجة البيضاء والطريقة الواضحة الغراء، وترك فينا ما إن تمسكنا به لن نضل ولن نزل ولن نذل أبدا، كتاب الله وسنته عليه الصلاة والسلام، أما بعد، فإن الله تعالى بعث للأمة المحمدية محمدا عليه الصلاة والسلام بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأرسل معه أفضل كتاب لا مثيل له في هذه الدنيا، وهو القرآن الكريم الملقب بالمعجزة الخالدة، هذا الكتاب الذي اتخذه العلماء منذ أنزل شغلهم الشاغل قراءة وفهما وتفسيرا وعملا به، فأبهر أهل الفصاحة في بلاغته لدرجة العجز عن الإتيان بسورة من مثله، فقد تطرق العلماء الكبار إلى إعجازه من جميع نواحيه، ومن بين العلماء الذين انبروا لهذا الشأن الإمام العلامة أبو بكر الباقلاني، فقد أَلَّف كتابا اسمه "إعجاز القرآن"؛ تناول فيه جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، فقد بسط فيه القول في وجه معجزة القرآن، للدلالة على مكانته السامية، وذكر فيه جملة من أقوال جامعة، تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التي تعرض لأفهام الجهال من الطعن في وجه معجزته الخالدة.

الإشكالية المطروحة للبحث:

يعد كتاب " إعجاز القرآن للباقلاني " من أبرز كتب المتقدمين في طرح مسألة الإعجاز وردّ شبه المغرضين والمشككين، وعليه كيف جاء مضمون كتابه إعجاز

القرآن، وما هي أبرز موضوعاته؟ وما هو منهجه الذي سار عليه في عرضه لمختلف حيثياته؟

موضوع البحث:

1. إن الإعجاز هو سمة بارزة في القرآن الكريم فهو يعطيه التميز عن جميع الكتب.
2. الإعجاز دليل قاطع على أن القرآن الكريم مصدره إلهي من عند الله.
3. الإعجاز القرآني دليلا على صدق نبوة خير الأنام محمد بن عبد الله.
4. يمنح الإعجاز القرآني سمة التوسع في فهم القرآن الكريم بأبعاد مختلفة.
5. البحث عن تفسير لبعض الظواهر الغريبة في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

1. نيل رضا الله عزّ وجلّ بالإقدام على دراسة موضوع يتعلق بأشرف كتاب أنزله للناس.
2. التجاذبات الكبيرة بين مدّ وجزر حول موضوع الإعجاز في القرآن الكريم.
3. محاولة معرفة الرأي الصواب حول حقيقة الإعجاز في القرآن.
4. الارتباط الوثيق للإعجاز القرآني بمحاولة فهمه وتفسير ظواهره تفسيراسليما.
5. التعرف على علم من أعلام الأمة، والتعرف على كتابه في موضوع الإعجاز.

الدراسات السابقة:

لم نقف في حدود علمنا وبحثنا على دراسات مماثلة هدفها تلخيص الكتاب، لكن في المقابل هناك دراسات عامة حوله، فمن هذه الدراسات:

1. أبو بكر الباقلائي ومفهومه للإعجاز القرآني، لأحمد جمال العمري، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة- العدد الثالث، 1396هـ- 1976م.

أهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في هذا البحث على مصادر كانت هي الرئيسية على مدار البحث:
- سير أعلام النبلاء للذهبي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلائي بتحقيق: أحمد صقر، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض.

حدود البحث:

عرضنا هذا البحث في حدود الكتاب المطلوب من إنجاز مشروع حوله، وهو كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلائي، فكان هذا الكتاب هو صلب بحثنا دراسة وفهما وتلخيصا.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي، والمتمثل في تقديم وصف حول الكتاب المدروس من حيث تأليفه ومنهجه وغير ذلك، والتحليلي بتحليل أفكاره ثم تجميعها.

منهجية البحث:

1. اعتمدنا في تقسيم البحث إلى مباحث، ومطالب، ولم ندخل الفروع تحت المطالب بل عملنا أرقام.

2.اعتمدنا في الترجمة للأعلام، بالترجمة للأعلام المغمورين غير المشهورين، أمّا المشهورين فلم نترجم لهم.

3.العزو للآيات يكون في المتن حتى لا تكثر علينا الهوامش.

4.ترتيب المصادر والمراجع على حروف الهجاء، والمصادر التي المشتركة في الحرف وفيها(ال) والمنزوعة (ال) التعريف، فإننا منزوعة (ال) التعريف على المعرفة ثم نذهب للحرف الذي يليه.

5.عزو الأحاديث إلى مصنفها عزوا علميا مدققا، نعود في ذلك إلى أمهات كتب متون الحديث مع حكم العلماء عليه.

6.في فهرس الأحاديث نذكر طرف الحديث ورقم الصفحة.

7.في فهرس الآيات نذكر الآية كاملة مع رقم الصفحة.

8.مصادر البحث اعتمدنا على المصادر التي تحدثت عن كتاب إعجاز القرآن للباقلاني.

9.اعتمدنا على نسخة دار الكتب العلمية-بيروت، في إنشاءنا لهذا البحث حول كتاب إعجاز القرآن، علّق عليه وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن بن عويضة.

خطة البحث:

-المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، المطلب الأول: نسبه وموطنه ووفاته، المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه، المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته، المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

-المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف، المطلب الأول: محتوى الكتاب، المطلب الثاني: سبب تأليف الكتاب، المطلب الثالث: منهجه في الكتاب، المطلب الرابع: مكانة الكتاب وأهم الدراسات حوله.

-المبحث الثالث: ملخص الجزء الأول من الكتاب، المطلب الأول: ملخص فصل في أنّ نبوة النبي معجزتها القرآن وملخص فصل في الدلالة على أنّ القرآن معجزة

المطلب الثاني: ملخص فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن وملخص فصل في شرح ما بيننا من وجوه إعجاز القرآن، المطلب الثالث: ملخص فصل في نفي الشعر من القرآن وملخص فصل في نفي السجع من القرآن وفي ذكر البديع من الكلام، المطلب الرابع: ملخص فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن وأيهما أبلغ الشعر أم النثر؟

المبحث الرابع: ملخص الجزء الثاني من الكتاب.

المطلب الأول: ملخص فصل في جوانب إعجاز القرآن وملخص فصل في التحدي وفصل في قدر المعجز من القرآن، المطلب الثاني: ملخص في هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة وملخص فصل فيما يتعلق بالإعجاز، المطلب الثالث: ملخص فصل في وصف وجوه البلاغة، المطلب الرابع: ملخص فصل في حقيقة المعجز وملخص فصل في كلام النبي وأمور تتصل بالإعجاز.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الأول: نسبه وموطنه ووفاته.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته.

المطلب الرابع: مكاتبه العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

في هذا المبحث سنترجم للإمام العلم أبي بكر الباقلائي بإعطاء نبذة عن حياته تتعلق بنسبه وموطنه، وشيوخه وتلاميذه، ومذهبه وعقيدته، ومكانته العلمية.

المطلب الأول: نسبه وموطنه ووفاته.

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المشهور بالباقلاني، والباقلاني نسبة إلى الباقلَى وبيعه، البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا لاعتقاده وناصرًا لطريقته. سكن بغداد وصنّف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، فكان موصوفاً بجودة الاستنباط، وتوفي القاضي أبو بكر الباقلائي آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة 340 ببغداد، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه بداره بدرج المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب¹، وقد رثاه بعض شعراء عصره قائلين:

انظر إلى جبل تمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف

وانظر إلى صارم الإسلام مغتدا... وانظر إلى درة الإسلام في الصدف²

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

أ. شيوخه: تتلمذ الباقلائي على مجموعة كبيرة من المشايخ كان لهم الأثر الأكبر في تغذية عقليته، وصقل موهبته، وتنوع اهتماماته العلمية، منهم: ابن مجاهد الطائي وعنه أخذ علم الكلام والفقہ المالكي وأصوله، وأبو الحسن الباهلي الذي أخذ عنه علم الأشعري، ومحمد الأبهري المالكي، والحسين النيسابوري، وأبو بكر بن مالك، وأبو محمد بن ماسي، وعاصر الباقلائي عديدا من العلماء الكبار منهم إبراهيم بن محمد الإسفراييني، وأبو محمد الحسن بن فورك³.

¹ ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، (ج1، ص468-469).

² تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، (ج3، ص364-369).

³ ينظر: أبو بكر الباقلائي ومفهومه للإعجاز القرآني لأحمد جمال العمري، (ج1، ص9-10).

ب. تلاميذه¹:

تلاميذ العلامة الباقلاني هم كثيرون جدا، فقد كان يبذل علمه في جامع المنصور ببغداد، حيث كانت له حلقة كبيرة فيها طلاب العلم، بيد أن أشهر تلاميذه هم: أبو عبد الله الأزدي، وأبو طاهر البغدادي، وأبو ذر الهروي، وأبو جعفر السمناني، والحسين بن حاتم الأصولي.

المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته.

كان الباقلاني مالكي المذهب، فقيها متكلمنا أصوليا أشعريا مشهورا.

قال عنه القاضي عياض: "ومن أهل العراق والمشرق أبو بكر محمد بن الطيب، القاضي المعروف بابن الباقلاني، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبته وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري"².

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

كرّس الباقلاني حياته للتأليف والتعليم، فقد كان يدرس ولم يصرفه صارف عن التعليم، حتى أنه لما كان مقيما مع عضد الدولة بشيراز وتدرسه لابنه الأمير لم يمنعه ذلك من التدريس، ومن الكتب التي درّسها كتاب "اللمع" لأبي الحسن الأشعري

-قال عنه أبو بكر: "وكان ثقة، حدّثنا عنه السمناني، قال: وكان أبو الحسن بن جهضم الهمداني، وذكره في كتابه، فقال: كان شيخ وقته، وعالم عصره، الرجوع إليه فيما أشكل على غيره"³.

قيل عنه: "وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته، وكان حسن الفقه، عظيم الجدل، وكانت له بجامع المنصورة ببغداد حلقة عظيمة"⁴

¹ ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13، ص11-12)، و أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني للعمري، (ج1، ص10).

² ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، (ج7، ص44).

³ المصدر نفسه، (ج7، ص45).

⁴ المصدر نفسه، (ج7، ص45).

-ذكر أبو عبد الله بن سعدون الفقيه أنّ سائر الفرق رضيت بالقاضي أبي بكر في الحكم بين المتناظرين¹.

قال ابن عمار الميورقي: "كان ابن الطيب مالكيًا، فاضلاً متورعاً، ممن لم تحفظ له قط زلة، ولا نسبت إليه نقيصة، وكان يلقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، وقال: كان حصناً من حصون المسلمين، وماسراً أهل البدع بشيء كسرورهم بموته"².

قال أبو بكر الخطيب: "كان أعرف الناس بعلم الكلام، وأحسنهم فيه خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة"³.

قال أبو بكر الخوارزمي: "كل مصنف في بغداد إنّما ينقل من كتب الناس، إلا القاضي أبا بكر فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس"⁴.

قال أبو محمد الشافعي: "كان إمام رأس أربع مائة: أبو بكر ابن الطيب رحمه الله"⁵.

قال الذهبي: "ابن الباقلاني الإمام العلامة أوجد المتكلمين، متقدم الأصوليين، كان يضرب المثل بفهمه"⁶.

مصنفاته⁷

أنتجت عقلية الباقلاني العلمية والدينية كثيراً من الكتب ذات الصبغة الكلامية، فقد أبدع في التأليف، ومن بين كتبه:

إعجاز القرآن، هداية المسترشدين في الكلام، الانتصار للقرآن، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج، الملل والنحل، الإمامة الكبيرة، كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، وغيرها من الكتب.

¹ المصدر السابق، (ج7، ص45).

² المصدر نفسه، (ج7، ص45).

³ المصدر نفسه، (ج7، ص47).

⁴ المصدر نفسه، (ج7، ص47).

⁵ المصدر نفسه، (ج7، ص48).

⁶ ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13، ص11).

⁷ ينظر: الإعجاز القرآني ومفهومه عند الباقلاني للعمري، (ج1، ص10).

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف

المطلب الأول: محتوى الكتاب.

المطلب الثاني: سبب تأليف الكتاب.

المطلب الثالث: منهجه في الكتاب.

المطلب الرابع: مكانة الكتاب وأهم الدراسات حوله.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف.

ألف أبو بكر الباقلاني كتابه إعجاز القرآن للرد على المشككين في أنّ القرآن ليس معجزاً، فانبهرى رحمه الله للتصدي لهذه المزاعم، وسنتطرق في هذا المبحث إلى محتوى الكتاب أو مضمونه، وسبب تأليفه للكتاب، ومنهجه في كتابه إعجاز القرآن، وما قيل عن الكتاب وأهم الدراسات حوله.

المطلب الأول: محتوى الكتاب.

تضمن الكتاب خمسة عشر فصلاً، وهي:

الفصل الأول: في أنّ نبوة النبي معجزتها القرآن، الفصل الثاني: في الدلالة على أنّ القرآن معجزة، الفصل الثالث: في جملة وجوه إعجاز القرآن، الفصل الرابع: في شرح ما بينا من وجوه إعجاز القرآن، الفصل الخامس: في نفي الشعر من القرآن، الفصل السادس: في نفي السجع من القرآن، الفصل السابع: في ذكر البديع من الكلام، الفصل الثامن: في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، وأيهما أبلغ الشعر أم النثر

الفصل التاسع: في جوانب إعجاز القرآن، والتحدي وقدر المعجز من القرآن، الفصل العاشر: هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة، الفصل الحادي عشر: هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة، الفصل الثاني عشر: فيما يتعلق به الإعجاز، الفصل الثالث عشر: في وصف وجوه البلاغة، الفصل الرابع عشر: في حقيقة المعجز، الفصل الخامس عشر: في كلام النبي وأمر تتصل بالإعجاز.

المطلب الثاني: سبب تأليف الكتاب.

1. ذكر الباقلاني في مقدمة كتابه أنّ الذين ألفوا في (معاني القرآن)، من علماء اللغة والكلام لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانته، مع أنّ الحاجة لذلك ملحة جداً، والاشتغال به أحق وأوجب، فقال: "فهو أحق بالتصنيف من

القول في الخبر، ودقيق الكلام في الأعراس، وكثير من بديع الإعراب، وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس، ولاشتغال به أوجب"¹.

2. تقصير بعض العلماء في مسألة الإعجاز في القرآن، فقال: "وقد قصر بعضهم في هذه المسألة، حتى أدّر ذلك إلى تحول قوم منهم إلى مذاهب البراهمة فيها، ورأوا أنّ عجز أصحابهم عن نصره هذه المعجزة يوجب أن لا يستتصر فيها"

3. تقصير من صنّف في هذا الباب وهو إعجاز القرآن في الإتيان على جميع جوانبه، فقال: "ثمّ رأوا ما صنّفوه في هذا المعنى غير كامل في بابه، ولا مستوفى في وجهه، فقد أخلّ بتهذيب طرقة، وأهمّل ترتيب بيانه"²، فذكر أنّ الجاحظ قد صنّف في نظم القرآن لكنّه لم يزد فيه على ما ذكره المتكلمون، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى.

4. طلب بعض طلبة العلم تفصيل القول في إعجاز القرآن، والرد على أهل الزيف والضلال، والذّب عن القرآن فيما يثار حوله من شكوك، فقال: "وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات، تزيل الشكوك التي تعرض للجهال، وتنتهي إلى ما يخطر لهم، ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المعجزة، فأجبناه في ذلك"³.

المطلب الثالث: منهجه في الكتاب

ذكر الباقلاني في مقدمة كتابه منهجه في الكتاب، لكن بشيء من الإجمال، فقال: "ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا، ونشير إليه، ولا نبسط القول، لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومقولا، بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة، ونضيف إليه ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب، ترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة، وما يشتبه له ظاهر الفصاحة، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية، والمعرفة بلسان العرب

¹ إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، ص6.

² المصدر نفسه، ص6.

³ المصدر نفسه، ص7.

في أصل الوضع، ثم ما ذهبت به مذاهب مستعملية في فنون ما ينقسم إليه الكلام من شعر ورسائل، خطب وغير ذلك من مجاري الخطاب، وإن كانت هذه الوجوه الثلاثة ما يبين فيه التفاصيل، وتقصد فيه البلاغة لأنّ هذه أمور يتعمل لها في الأغلب، ولا يتجاوز فيها، ثمّ من بعد هذا الكلام الدائر في محاوراتهم، والتفاوت فيه أكثر، لأنّ التعمّل فيه أقل، إلا من غزارة طبع، أو فطنة تصنع وتكلف، ونشير إلى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ليعرف عظم محل القرآن، وليعلم ارتفاعه من مواقع هذه الوجوه، وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز أن يوازن بينه وبينها، أو يشتبه ذلك على متأمل، ولسنا نزعم أنّه يمكننا أن نبين ما رمنا ببيانه، وأردنا شرحه وتفصيله لمن كان عن معرفة الأدب ذاهبا، وعن وجه اللسان غافلا، لأنّ ذلك مما لاسبيل إليه إلا أن يكون الناظر فيما تعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العربية قد وقف على جملة من محاسن الكلام ومتصرفاته، ومذاهبه، وعرف جملة من طرق المتكلمين، ونظر في شيء من أصول الدين، وإثما ضمن الله عزّ وجلّ فيه البيان¹.

المطلب الرابع: مكانة الكتاب وأهم الدراسات حوله.

1. مكانة الكتاب:

يقول محقق الكتاب أحمد صقر: "كتاب إعجاز القرآن هو أول كتب الباقلائي نشرا، وأشهرهم ذكرا، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم، وإن كره ذلك بعض المتعصبين على العهد العتيق"².

2. أهم الدراسات حوله:

من أبرز الدراسات التي عنيت بالحديث عن كتاب الإمام الباقلائي، نقف عند:

- إعجاز القرآن للباقلاني منهجه ومسائله وإشكالية بديعه، الدكتور: فاضل عبود التميمي.

¹ المصدر السابق، ص7.

² إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلائي، ت: أحمد صقر، (ج1، ص67).

- أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري.
- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، الدكتور: عبد الرؤوف مخلوف.

المبحث الثالث: ملخص الجزء الأول من الكتاب

-المطلب الأول: ملخص فصل في أن نبوة النبي معجزتها القرآن

وملخص فصل في الدلالة على أن القرآن معجزة.

-المطلب الثاني: ملخص فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن

وملخص فصل في شرح ما بيننا من وجوه إعجاز القرآن.

-المطلب الثالث: ملخص فصل في نفي الشعر من القرآن

وملخص فصل في نفي السجع من القرآن وفي ذكر

البديع من الكلام.

-المطلب الرابع: ملخص فصل في كيفية الوقوف على إعجاز

القرآن وأيهما أبلغ الشعراء أم النثر؟

المبحث الثالث: ملخص الجزء الأول من الكتاب.

المطلب الأول: ملخص فصل في أنّ نبوة النبي معجزتها القرآن وملخص

فصل في الدلالة على أنّ القرآن معجزة.

1. ملخص فصل في أنّ نبوة النبي معجزتها القرآن

ارتكزت نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على المعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم المعجز، مع أنّ رب العالمين أيده بمعجزات أخرى حدثت في ظروف وملابسات معينة، فمنها ما نقل متواترا، ومنها ما نقل نقلا خاصا من الذين عاينوها، وبعضها ما نقل من جهة الأحاد.

فالقرآن هو المعجزة التي أنزلها رب العالمين على نبيه الكريم للعالمين وهي المعجزة القائمة إلى يوم القيامة، فقد أنزله رب العالمين بلسان عربي مبين متحديا به جهاذة اللغة والبلاغة والفصاحة إن استطاعوا أن يأتوا بمثله، بكنهم عجزوا عن ذلك، فمن البديهي أن يعجز أهل القرون المتوالية على أن يأتوا بمثله، فقد ورد آيات كثيرة تبين أنّ القرآن هو معجزة النبي، وأنّ الله أرسله نذيرا وبشيرا للناس وهاديا إلى الله بإذنه، فقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1]، وقال أيضا: ﴿وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾

وهذا ما يدل دلالة واضحة على إلزامية حجية القرآن، فالعديد من السور تؤكد ذلك وخاصة السور المفتحة بالحروف المقطعة، فمثلا قال تعالى: ﴿حَم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: 1-2] إلى أن قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: 4]، فهذا دليل صريح على حجيته وأنّ من يجادل فيه فهو كافر، ثمّ عقب الكلام عن الأمم السابقة وتكذيبهم لرسولهم فتوعدهم بأنّه آخذهم في دنياهم وأنّ مصيرهم جهنم بسبب تكذيبهم للأنبياء، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ

﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: 5]، ثم عظم شأن المؤمنين الذين آمنوا بالمعجزة الحجة عن طريق استغفار الملائكة والدعاء لهم ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7] ثم بين وعيد الكافرين، فأمر بالتدبر في آياته فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر: 13].

إنّ القرآن الكريم هو غذاء الجسد لذلك وصفه المولى عز وجلّ بالروح لأتّه لا فائدة من الجسد بدون روح، فجعل الروح سببا للإنذار، فالقرآن بنفسه برهان ولو لم يكن برهانا لم يقع به الإنذار والإخبار عما يقع عند مخالفته، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15]، ثم ضرب لهم المثل بمن رفض وخالف الآيات وجحد المعجزات بأن مصيرهم وعاقبتهم سيئة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: 21]، ثم أعقب ذلك بأن جدالهم في آيات الله لا يقع بحجة أو ببينة وإنما هو هوى وجهل واستكبار وعناد، فهم بهذا صرفهم الله عن فهم حقيقة ما أنزله من الذكر الحكيم والهدى، وذكر عديد الآيات الدالة على التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 38]، فهذا يدل على أنّ الآيات على ضربين، الأولى هي كالمعجزات في دار التكليف، والثانية هي الآيات التي أقيمت زال التكليف وحقت عقوبة المنكرين، فبني الرحمة يعلم علم اليقين أنّ هذا الكتاب الحجة هو الحق وما يحويه حق من قصص الأولين والمرسلين

والإخبار عن الغيبيات والحوادث التي ستقع في المستقبل، فلا يمكن بأي حال من الأحوال التعرض له بالشبهات والظعن فيه من شياطين الإنس لأنه جاء موافقا لمعهد خطابهم حتى يقع التحدي به على أكمل وجه، فلو كان هذا الكتاب أعجيبا لاتخذوا منه ذريعة لردّه باعتذارهم عن إدراك معناه وفهم مغزى الإعجاز فيه، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يأتي من بعده من يشكك في إعجازه ودلالته، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41-42]، وقال أيضا: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44]، ثم ذكر على سبيل هذا المنهج والنظم في سورة السجدة كذلك فليتأمل الإنسان الذي لازال لديه ريب أو شك في هذه الآيات فسيجد في النهاية أنّ نبوة النبي الخاتم هي المعجزة القرآنية الخالدة.

2. ملخص فصل في الدلالة على أنّ القرآن معجزة

قد ثبت في الفصل الأول أنّ نبوة النبي أساسها هو القرآن الكريم، فوجب تبين وجه الدلالة على ذلك.

-التيقن أنّ القرآن من عند الله:

أ.ذكر العلماء أنّ الأصل في هذا هو أنّ تعلم أنّ القرآن المتلو المحفوظ المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأنه الذي تلاه على من عاصروه ثلاثا وعشرين سنة.

ب.النقل المتواتر يؤكد ذلك: فالنقل المتواتر هو الطريق الذي يقع به العلم الضروري وذلك لأنّه كتب به إلى البلدان وتحمله عليه من بعده وأورده على غيره ممن لم يتابعه، حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشتبّه على أحد منهم، ولا يحتمل أنّه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه حتى انتشر في أرض العرب، وتعدّى إلى الملوك كملك الروم والفرس والعجم والقبط والحبشة وغيرهم.

ج.اطلاع أهل زمن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظهم له: لما جاء القرآن مضادا لأديان ذلك العصر ومخالفا لاعتقاداتهم المختلفة مضمونا، المتفقة في الكفر، فوقفوا جميع أهل الخلاف على جملته، ووقف أهل عصره من المؤمنين على جملته وتفصيله، وتظاهر بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرجال، فكان عمدة الدين، والمنارة له، المتلو في صلواتهم، المحكمة أحكامه، ثمّ تناقله خلف عن سلف حتى انتهى إلينا وما وصفنا من حاله، فلا مجال للشك فيه من أيّ أحد بأنّه أتى به من عند الله مع وجود هذه الأسباب، فهذا هو الأصل.

د.القرآن متحديا العرب: إذا ثبت هذا الأصل وجودا أنّه تحدّاهم إلى أن يأتيوا بمثله، وقرّعهم على عدم قدرتهم الإتيان بمثله طول السنين التي وصفناها فلم يقدرُوا على ذلك، والدليل عليه من القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23]، فجعل العجز عن الإتيان بمثله دليل على أنّه من عنده،

والحجة على وحدانيته، وبذلك يدحض قول من قال بعدم إمكانية دلالة القرآن على وحدانية الله وزعم أن ذلك لا سبيل إليه إلا من جهة العقل لأن القرآن كلام الله ولا يصح أن يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولاً، فإذا ثبت بما نبينه إعجازه وأن الخلق لا يقدر أن يعلمه ثبت أن الذي أتى به غيرهم، وأنه صدق، وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقا، وليس الغرض تحقيق القول في هذا الفصل لأنه خارج عن مقصود كلامنا ولكن ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كانَ بغضُهم لِبغضِ ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، فالعرب لم تستجب للتحدي الذي أعلنه الله عليهم فلم يأتوا بمثله وفي هذا أمران: التحدي إليه، والآخر لم يأتوا بمثله والدليل عليه النقل المتواتر الذي يقع به العلم اليقيني فلا إمكانية لحدود أحد الأمرين.

اعتراضات على التحدي والإجابة عليها

فإن قيل إنه لعله لم يقرأ عليهم الآيات التي ذكر فيها ذكر التحدي وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن كان قولا باطلا معلوم البطلان، مثلما يعلم به بطلان زعم أن القرآن أضعاف ذلك وهو يبلغ حمل جمل وأنه كتم وسيظهره المهدي، وأيضا الزعم أن القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو شيء وضعه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما حيث وضعا المصحف والزعم أن فيه الزيادة والنقصان.

-ضمان الله تعالى حفظ كتابه: لقد حفظ الله كتابه من التحريف والتغيير، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن وعده حق، وقول من قال أن ذلك يغني عن الرد عليه، لأن عدد الذين أخذوا عنه القرآن من الأمصار والبلاد وحفظوه وضبطوه وعرفوه حتى صار لا يشتبه على أحد منهم حرف، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقع منهم سهو أو نسيان أو تخطيط أو كتمان، فلو تصرفوا فيه لظهر ذلك، فلو حصل التغيير في شعر شاعر لفضح فكيف بكلام الله تعالى، فهذا شعر

امرؤ القيس¹ وغيره لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن في الحفظ والضبط والحاجة الماسة إليه، فلو زيد أو نقص فيه بيت أو لفظ لأنكره أرباب الشعر عليه، فإن كان ذلك حال كلام البشر، فكيف يكون التبديل في كلام رب البشر فهذا لا يقبله العقل، بالإضافة أن القرآن يحتاجه البشر لإقامة أحكامه وتشريعاته، وشغل الناس الشاغل لضبطه وقراءته وتفسيره وفقهه ومعرفة فصاحته وأيضاً لمجابهة الملحدين به، فإله تعالى يقول نقلاً عنهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: 31]، وأيضاً قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ [ص: 7]، في ردّ قومه عليه وغيرهم إلى الوجوه الأخرى التي يصرف إليها قولهم في الطعن عليه: فمنهم من يستهين به ويجعله سبباً لشركه، ومنهم من يزعم أنه مفترى لذلك لا يأتي بمثله، ومنهم من زعم أنه أساطير الأولين، فكراهية للتطويل لم يذكر كل آيات التحدي، فلو جاز أن يكون بعضه مكتوماً أو موضوعاً جاز كله.

هـ. الدليل على عجز العرب عن الإتيان بمثله هو طول مدة التحدي، وجعله دلالة على صدقه ونبوته، وتضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذراريهم، فلو استطاعوا تكذيبه لفعّلوا بتخليص أولادهم وأموالهم وأهليهم من حكمه بأمر قريب من معهود لسانهم، فكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال وتجنب الجدل والجلاء من الأوطان، فلما لم يحصل منهم معارضة علم أنهم عاجزون، فالعدو يقصد لدفع قول عدوّه بكل ما يقدر عليه من المكائد، لاسيما مع استعظامه ما أبدعه بالمجيء من خلع آلهته وتسفيه رأيه في دياناته، وتضليل آباءه، وإظهار أمر يوجب طاعته والتصرف على حكم إرادته، والانخراط في سلك الأتباع بعد أن كان متبوعاً، وتحكيم غيره في المال والدخول تحت تكاليف شاقة، فقد بذلوا السيف والمال لذلك فكيف لا يردون باللسان، فحميتهم وجاهليتهم جعلتهم يبذلون السيف وخاطروا بنفوسهم وأموالهم، فكيف يجوز أن لا يتوصلوا إلى الردّ عليه وتكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ومعهود خطابهم مع بلوغهم الذروة في الفصاحة.

¹ هو امرؤ القيس ابن حجر الكندي، كان أشرف شعراء الجاهلية وأشهرهم، وأرفعهم منزلة، توفي سنة 540م. (ينظر: الأعلام لخبر الدين الزركلي، ج2، ص11).

ولو عارضوه لوهن أمره، وتكذيب قوله وتفريق جمعه وتشنيت أسبابه، وكان من صدق به يرجع على أعقابه، فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك مع طول المدة ووقع الفسحة وكان أمره يتزايد حالاً فحالاً وهم عاجزون عن القدح فيه، فلو كانوا لا يقدرّون على معارضته ولا على توهين حجته، وقد أخبر الله تعالى أنّهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58]، وقال: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4]، وأيضاً ما كانوا يقولونه على القرآن ممّا حكى الله عزّ وجلّ عنهم فقال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: 31]، وقولهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6] وقولهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4]، وقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْتِيَنَّكَ بِبُرْهَانٍ كَبِيرٍ﴾ [الصافات: 36]، والآيات كثيرة تدل على أنّهم كانوا متحيرين في أمرهم، متعجبين من عجزهم، يفرعون من هذه الأمور بتعليقات ومعاذير ومدافعة بما وقع بع التحدي، فلذلك طالبوا بمعجزات أخرى غير الفصاحة يريدون تعجيزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه، فكيف يجوز أن يقدرّوا على معارضته القريبة السهلة عليهم، فيعدلون عن ذلك إلى ما صاروا إليه من المنابذة والمعاداة ويتركون الأمر الخفيف فهذا ما يمتنع وقوعه في العادات ولا يجوز اتفائه من العقلاء، فلو كانت المعارضة ممكنة لعارضوه وهم ما هم فيه من السليقة والبلاغة والفصاحة، وهو يتفوق عليهم فيعجزوا عن مباراته، فيؤنبهم على فعلتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44]، إلى غيرها من الآيات التي تدعوهم إلى المباراة والتحدي وتفخيم شأن القرآن.

ز. عدم معارضتهم يدل على أنه لا إمكانية للمعارضة فلم يحتجوا بكلام سابق أو نظم بديع أو قالوا هذا الكلام أفصح من الذي جئت به، وأنه لا نظير له ولو وجد لنقل إلينا كما نقلت إلينا أشعارهم وغيرها من صنوف الكلام، فلو قيل بأنّ الذي بني عليه الأمر في تثبيت المعجزة هو وقوع التحدي به، فإنّ الناظر الذي عرف وجه النقل المتواتر وجب له العلم بأنّهم كانوا عاجزين عنه، فقيل: إنّما احتيج إلى التحدي لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان لأنّ المعجزة عند ظهورها تكون حجة بادعاء من ظهرت عليه، ولا تظهر على أحد إلا وهي من الله، فوجه الإعجاز فيها بالتحدي لإزالة الشبهة على الكل ويتضح للجميع أنّ العجز واقع عن المعارضة، فالبلّغ إذا احتج عليه بالقرآن كان ذلك بلاغا في إيجاب الحجة، فالغالبية لما تفتنوا لإعجازه أسلموا لأنّ دعوة النبي لهم لم تكن تقليدا وإنّما انقادوا إليه على بصيرة منهم فلم يقل لهم عودوا إلى البلغاء منكم، فإن عجزوا فقد ثبتت حجتي، بل لما رأهم يعلمون إعجازه ألزمهم حكمه فقبلوه وتمسكوا به، فمن كانت بصيرته أبصر كان إلى الحق أسبق، فمن المعلوم تفاوت الناس في إدراك القرآن ومعرفة وجه الدلالة منه، فالأعجمي لا يعلم أنّه معجز إلا بعلمه عجز العربي، فمن علم إعجاز أهل الصنعة لزمته الحجة، ومن كان في ذروة معرفة وجوه الخطابة علم إعجازه منذ سماعه له فعدم قول ذلك يفضي إلى القول أنّ النبي لم يعلم أنّه معجز إلا عندما عرف عجز أهل اللسان عنه وهذا قول مردود، فالنبي يعرف إعجازه منذ وحيه إليه وأخبر بأنّه دلالة على نبوتك، فالبلّغ منهم يعرف خروج بلاغة القرآن عن مألوفهم، فالقرآن نزل من وجه نقض العادة التي ألفوها في الكلام، فالنظر في إعجازه يحتاج إلى تأمل، فهذا جبير بن مطعم¹ أسلم لما سمع سورة الطور فخشي من العذاب، وعمر أسلم لما سمع سورة الطور، أمّا عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبو جهل لما سمعوا آية العذاب فيثبوا.

ح. سماع القرآن حجة على الخلق أجمعين، فالسمع طريق التأمل وعند التأمل يقع التسليم للحق، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ

¹ هو جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي المكي ثم المدني، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، كان سيدا حكيما، توفي بالمدينة سنة 58 أو 59 هجري. (ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن بن الأثير، ج 1 ص 515، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج 1 ص 570).

اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغُهُ مَأْمَنَهُ ﴿التوبة:6﴾، فجعل سماع القرآن حجة عليه بنفسه، فمنهم من يكون سماعه إياه حجة عليه، فصوارف الكفار عن الحق عديدة جدا، فمنهم من يشك في إثبات الصانع، ومنهم من يشك في التوحيد، ومنهم في النبوة مثل أبي سفيان بن حرب لما أراد الإسلام عام الفتح، فمن قَلَّتْ شكوكه أسلم، ومن كثرت شكوكه فدعاه لعدم النظر فطال عليه العهد حتى تتور واستبصر، فاعترض بعضهم عن كيفية معرفة البليغ إعجازه، فقالوا هم لم يعجزوا لكن الله هو من صرفهم، فالرد على هذا الزعم أنه لو صحَّ ذلك صحَّ لكل من أمكنه نظم ريع بيت أو مصراع من بيت أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ولصحَّ لكل ناطق يتوفر في نظمه الكلام البديع أن ينظم الخطب البليغة العجيبة ولكن ذلك غير ممكن، فأهل الصنعة إذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ولم يشتبه لديهم ومن كان منتهيا في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال، فهذه وجوه امتناع مساواة كلام الناس به ظاهر الخطأ، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:18-25].

ط. بطلان القول بالصرفة عن طريق أنه لو كانت المعارضة ممكنة لم يكن الكلام معجزا وإنما المنع يكون معجزا، فليس ذلك غريب من قولهم أن الكل قادرين على الإتيان بمثله، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب ولو تعلموه لوصلوا إليه، وأيضا الزعم أنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى أنه يصح الإعجاز في كل واحد منها على حدّ واحد، وأيضا فالتوراة والإنجيل والصحف ما فيها إعجاز في نظمها لأن الله تعالى لم يصفها بما وصف به القرآن وإن كانوا يتضمنون إعجاز في الإخبار عن الغيبات.

ي. انفردت اللغة العربية بالإعجاز، فمن ذلك احتوائها على معرفة الشيء الواحد بمسميات مختلفة، وكذلك احتواء جملة من الكلمات فيها على معاني عديدة وغيرها من الوجوه، فالله وصف القرآن بأنه أنزل بلسان عربي مبين، فبيّن رفعه عن جعله

أعجمياً، فالفائدة من كونه عربي أنه مما يفهمونه ولا يفتقرون للرجوع فيه إلى غيرهم في تفسيره، فمن خبر اللسان العربي أدركها بالفصاحة، فكثير من المسلمين عرفوا تلك الألسن المختلفة، فوقفوا أنه لا يقع فيها التفاضل والفصاحة على ما يقع في العربية، فأهل التوراة لم يدّعوا الإعجاز لكتابهم، وذلك مما يؤكد خصوصية القرآن به، ومما يؤكد ذلك انعدام الشعر في الألسنة الأخرى، فزعم بعضهم الإعجاز لكتاب ماني وزرادشت، والحق أنها ضروب من الكهانة والشعوذة، وادّعى بعضهم معارضة ابن المقفع للقرآن، والحق أنه كلام مردود كله وهو عبارة عن حكم، وفي الحقيقة ليس له كتاب يدّعي فيه ما ادّعوه عليه.

المطلب الثاني: ملخص فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن وملخص فصل في شرح ما بينا من وجوه إعجاز القرآن.

1. ملخص فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن

ذكر المؤلف في ذلك وجوها من الإعجاز منها ما يلي:

أ.الإخبار عن الغيوب: فلا سبيل للعقل البشري لإدراكه إلا عن طريق الوحي، فمن ذلك ما وعد الله به نبيه أنه سيظهر دينه القويم على سائر الأديان، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، وفعلا تحقق وعد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند الغزو يعرف جيوشه بما وعدهم الله به تعالى من إظهار دينه ليثبتوا في ساحات الوغى، ولينفقوا بالنصر والنجاح، وكان عمر بن الخطاب يفعل ما فعله الصديق قبله حتى وقف أصحابه عليه، وكان سعد ابن أبي وقاص وغيره من أمراء الجيوش يفعلون نفس الأمر ويوثق لهم وكانوا يلقون بالظفر في المعارك حتى وصل الإسلام آخر أيام عمر إلى بلخ وبلاد الهند وفتح مرو الشاهجان ومرو الروذ، ومنعهم من العبور بجيجون، وفتح فارس إلى اصطخر وسجستان وجميع ما كان من ملك كسرى وأيضا الفرس، فأزال وأباد ملك ملوك الفرس ثم توجه إلى حدود أرمينية، وفتح الشام وفلسطين وفسطاط مصر وأزال ملك القياصرة عنها، ووصلت جيوشه إلى عمورية، فانه وفى بوعدة للمؤمنين بالغلبة وللكافرين بالنار، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 12]، وقال في أهل بدر: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7]، وفى لهم بما وعد، والأخبار في هذا كثيرة جدا، فالنبي جاء بأمور لا يمكن له معرفتها لوحده.

ب. من المعلوم والبيهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يجيد لا القراءة ولا الكتابة وأيضا لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأخبارهم، ثم أتى بجملة من

الوقائع من عظيمات الأمور من مهمات السير منذ خلق آدم إلى حين مبعثه، فقد ذكر النبي أموراً تاريخية منها قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار إليه أمره بالخروج من الجنة، وذكر قصة نوح عليه السلام إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن، فطريق معرفة ما ذكره النبي هو العلم والنبوة، والمعروف عن النبي لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحملة الأخبار ولا أهل القراءة، فالطريق الوحيد لمعرفة ما هو الوحي الإلهي، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَازِتَابَ الْمُبْتَاطُونَ﴾ [العنكبوت: 48]، وأيضاً فإن من تعلم لا يخفى على الناس فعله، فكان فيهم من يحسن هذا العلم، فلا إمكانية لخفاء عالم الصناعة ومتعلمها.

ج. القرآن بديع نظمه عجيب تأليفه، متناه البلاغة إلى حدّ عجز المخلوقين عنه، فالمشتمل على بديع نظمه أنه خارج عن نظام كلام العرب جميعه، ومباين لمألوف خطابهم، ويتميز بخصوصية الأسلوب عن باقي أنواع الكلام، فطرق الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصاابة والإفاداة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف، فالقرآن ليس شعراً ولا سجعا فهناك من ادعى أنه كذلك، فالمتأمل يعرف خروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم وأنه معجز، فليس في كلام العرب مثل للقرآن في الفصاحة والغرابة والتصريف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، وإنما تنسب إلى أحكمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها من الاختلال الشيء الكثير من التكلف وغيره، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: 82]، فكلام البشر مهما امتد يقع فيه التفاوت والاختلال،

أما نظم القرآن لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يحويها، في حين نجد أنّ كلام البلغاء يتفاوت على حسب هذه الأمور، فمن الشعراء من يجيد المدح دون الهجو والعكس صحيح، وأيضا منهم من يجيد التقريظ دون التأيين والعكس وغيره مما يشتمل عليها الشعر، فضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وبزهير إذا رغب، ثم نجد التفاوت عند الشعراء كذلك في النظم، فأحد يجيز الرجز ولا يجيد القصيد والعكس، ومنهم من يجيد الكلام المرسل، فإذا جاء للموزون نقص نقصانا عجيبا والعكس، أمّا نظم القرآن متساوي البلاغة في جميع الوجوه التي ذكرناها على حدّ واحد في النظم والتأليف والرصف فلا انحطاط فيه ولا إسفال، وأيضا ما يتصرف إليه الكلام في الآيات الطويلة، فالإعجاز فيها جميعها على حد واحد، ففي تكرار ذكر القصة الواحدة يتفاوت الكلام فيها عند البشر، لكنّه غير موجود هذا في القرآن، فعلم أنّه مما لا يقدر عليه البشر، فكثيرا من الشعراء وصف بالنقص عند الانتقال من معنى إلى آخر حتى أنّ أهل الفنّ اتفقوا على تقصير البحترى في الخروج من التسيب إلى المديح فهو لا يحسنه إلا في مواضع قليلة.

فالقرآن على اختلاف ما يتصرف إليه فيه فهو يبلغ الغاية بمعنى أنّه يجعل المؤلف كالمختلف، والمتباين كالمتناسب، والمتاخر في الأفراد إلى حدّ الأحاد وهذا أمر غريب وعجيب يخرج عن العادة.

د.نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الإنس والجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجز الإنس ويقصرون دونه كقصورنا، فقال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، فاعترض بعضهم بقولهم أنّه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن مثله، ويمكن أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله، فلديهم القدرة على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا يقدر البشر عليها، فالردّ على الزعم أنّه بإمكاننا معرفة ذلك بخبر الله عز وجل، وأيضا أنّ هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، وما يروون لهم من الشعر ويحكون عنهم من

الكلام، فصاحة الجنّ لا تتعدى فصاحة الإنس وربما يقصر عنها، ولا يمتنع سماع الناس كلام الجنّ، فتقع محاورات بينهم على عهد الأنبياء وذلك مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات، فمن ذلك قصيدة لامرؤ القيس¹ مع عمرو الجني وغيرها الكثير.

- وإذا كان العرب ينقلون عنهم ما سمعوه من مخاطباتهم، فالمحكي لا يزيد عن فصاحة العرب صح ما وصف عندهم عنه كعجز الإنس، وهذا ما بيّنه القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29]، فإذا ثبت كلامهم ووافق ما يعتقدونه من نقل خطابهم، صحّ وصف الكلام المعهود بأنّه ينحط على درجة القرآن في الفصاحة، وقيل إنّ عجز الإنس عن القرآن يثبت عجز غيرهم، وأيضا قيل أنّ هذا إنّما هو إعجاز في الجملة، فلو دلّ على الجملة فإنّه أيضا يدلّ على التفاصيل.

هـ. إنّ ما في كلام العرب من فنون الخطاب موجود في القرآن الكريم من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، وغيرها من الوجوه الموجودة في كلامهم هي موجودة في القرآن، وذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد في الفصاحة والإبداع في البلاغة، وأيضا فإنّ ورود معاني القرآن من الأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والردّ على الملحدين بتلك البراعة اللفظية يتعدّر على البشر فعله، وصعوبة ابتكار الألفاظ للمعاني كما هي في القرآن، فعند موافقة الألفاظ للمعاني تكون الفصاحة أتم وأبلغ.

و. الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته، وذلك بذكر الكلمة في تضاعيف الكلام، أو تقذف ما بين الشعر، فتأخذه الأسماع، وتتشوف إليه النفوس، ويرى وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به، كالياقوتة التي في واسطة العقد، فهذه الوجوه حيّرت وأدهشت أهل الصنعة، فلم يحركوا ساكنا ولم يعارضوا، وكانوا ينظرون في أمرهم، وعدلوا عنه لما علموا عجز صنائدهم وأهل الفصاحة ووجهائهم سلّموا بذلك تحقفا بظهور العجز.

¹ سبقت ترجمته.

ز. أنّ الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرين سورة، وجملة ما ذكر من الحروف هو نصف الجملة وهو أربع عشرة حرفاً ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أنّ هذا الكلام منظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم، فقد قسموا هذه الحروف إلى تقسيمات عدة، فمن هذه التقسيمات: حروف مهموسة وأخرى مجهورة، أيضاً الحروف الحلقية وغير الحلقية، وكذلك الشديدة وغير الشديدة، والمطبقة والمنفتحة، فتقسيم هذه الحروف كان متأخراً، فالغاية منه هو ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد رأوا مباني اللسان على هذه الجهة، وقد نبّه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التصنيف الذي وصفنا، دلّ على أنّ وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل، لا يجوز أن يقع إلا من الله عزّ وجلّ، لأنّ ذلك يجري مجرى علم الغيوب، وإنّما نبّهوا على ما بني عليه اللسان في أصله، فأصل اللغة توقيفي، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً لأنه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى، وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حدّ يتعلق به الإعجاز من وجه، فإن أعيدت فاتحة كل سورة لفائدة فهي تخصها في النظم إذا كانت حروفاً مثل (ألم)، فأتاهم بكلام منظوم بما يتعارفون عليه من الحروف.

ح. القرآن سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريباً إلى الأفهام، يبادر لفظه إلى القلب، ويسابق المعنى من عبارته إلى النفس، وأمّا الانحطاط عن تلك الرتبة من الكلام المبتدل أو القول المفلس فلا توجد فيه فصاحة أو بلاغة، ولكن لو وضع موضع التعسف والاستكراه لكان أدعى لهم للاعتذار، لكن بين منهجه وسهل ميسر مع ذلك عجزوا عنه، فكلام فصحاء العرب لا يخلوا من زلات، ككلام كبير شعراء الجاهلية امرؤ القيس¹:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

¹ سبقت ترجمته

قال بعضهم: إنّ الأحكام معللة بعلل توافق مقتضى العقل جعل هذا وجهها من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنحو ما يعللون به الصلّاة ومعظم فرائضهم، ولهم في كثير من تلك العلل طريقة قريبة، ووجوه تستحسن، وأصحابنا من أهل خراسان مولعون بذلك، فإن قيل هل تزعمون أنّه معجز، لأنّه حكاية الكلام القديم سبحانه، أو عبارة عنه، أو أنّه قديم في نفسه، قلنا: ما نقول أنّ الحروف قديمة، فكيف يصح التركيب على الفاسد، ولا نقول أيضا إنّ وجه الإعجاز في النّظم بأنّه حكاية عن الكلام القديم لأنّه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما معجزات في النّظم والتأليف.

2. ملخص فصل في شرح ما بيّنا من وجوه إعجاز القرآن.

أ. الإخبار عن الغيوب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ما أخبر به النبي عن الغيوب وقع بصدق والإصابة في ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح:16]، فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى قتال العرب والفرس والروم، وكقوله تعالى: ﴿الم (1) غَلَبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم:1-3]، وراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك، وصدق الله وعده، وقوله في أهل بدر: ﴿سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:45] وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:27]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33]، وقوله للمتخلفين: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَافْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:83]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال:7]، في أهل بدر وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في هذا الباب.

ب. الإخبار عن قصص الأولين: فهذا باب من المستحيل على إنسان لم يقف على الإخبار ولم يشتغل بدرس الآثار، وقد حكى القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِازْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:48]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص:44]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:46]، فبيّن وجه دلالاته من أخباره بهذه الأمور الغائبة السالفة، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:49].

ج. الإعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف فيه وجوها، منها أننا قلنا إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم، ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من أنه يصحح: أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى، لأن قوما من كفار قريش ادعوا: أنه شعر، ومن الملاحدة من يزعم: أن فيه شعرا، ومن أهل الملة من يقول: إنه كلام مسجع إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم، ومنهم من يدعي: أنه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن أصناف ما اعتادوه من الخطاب.

المطلب الثالث: ملخص فصل في نفي الشعر من القرآن وفصل في نفي السجع من القرآن.

1. ملخص فصل في نفي الشعر.

أ. نفى الله تعالى الشعر عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: 69-70]، وقال تعالى في ذم الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224-226]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: 41].

ب. حكى الله زعم الكفار أنّ محمداً شاعر، وهذا ما يدل على أنّ ما حكاه عن الكفار لا بد من أن يكون محمولاً على أنّهم نسبوه في القرآن إلى أنّ الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي ألفوه من الأعاريض المألوفة المحصورة، أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام، وطرق لهم في المنطق، وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعر على الحقيقة، أو يكون محمولاً على أنّه أطلق من بعض الضعفاء منهم في أوزان الشعر وهو أبعد الاحتمالات، فقالوا أنّ الشاعر يفتن إلى ما يفتن إليه غيره، فإن حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحاً لتفتن الشاعر لما لا يتفتن إليه غيره، فإذا قدر على الشعر كان على ما دونه في رأيهم وعندهم أقدر، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب.

ج. الزعم بأنّ في القرآن شعراً كثيراً، فمن ذلك ما يزعمون أنّه بيت تام أو أبيات تامة، ومنه ما يزعمون أنّه مصراع، ومما يزعمون أنّه بيت قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 13]، فقالوا هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه:

ساكن الريح نطوف...المزن منحل العزالي

وزعموا ما ورد أنّه من البحر الخفيف، والبحر الوافر، والبسيط، وزعموا أن فيه رجزا.

-الرد على الدعاوى التي ادّعوها:

أ. لم يعتقد الفصحاء أنه شعر وإلا عارضوه، ولو لم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا لمعارضته، لأنّ الشعر مسخر لهم مسهل عليهم، لهم فيه ما قد علمت من التصرف العجيب، والاقنتدار اللطيف، فعدم اشتغالهم بذلك يدل على أنّهم لم يعتقدوا فيه شيئا ممّا يقدره الضعفاء في الصنعة، وأنّ من يزعم أنّه استدرك حاليا على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزّمان وبلغائهم وخطبائهم وزعم أنّه وجد شعرا في القرآن فهو يهرف بما لا يدري، فلا يمكن خفاؤه على فطاحلة العرب ويعرفه من بعدهم، فمن يزعم هذا الزّعم فهو بالجهل أحق.

ب. البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا، فأقل الشعر بيتان فصاعدا وإلى ذلك ذهب العلماء وأكثر أهل الصنعة العربية من أهل الإسلام، وأيضا ما كان على وزن بيتين إلا أنّه يختلف رويهما وقافيتيها فليس بشعر، والرجز كذلك ليس بشعر.

ج. يقولون إنّ الشعر إنّما يطلق متى قصد القاصدون إليه، على الطريق الذي يتعمد ويسلك، ولا يصح أن يتفق منه إلا من الشعراء، دون ما يستوي فيه العامي والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد، فلا يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر لأنّه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر، أو تنتظم بعض الأعراب لكان النّاس كلهم شعراء لأنّ كلّ متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير بقوله ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه، فالعامي قد يقول لصاحبه: "اغلق الباب وائتني بالطعام"، ويقول الرجل: "اكرموا من لقيتم من تميم"، فعند تتبع الإنسان هذا عرف أنّه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه، وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ليس يعده أهل الصناعة سرقة، فقد يقع الكلام الموزون في الكلام المنثور اتفاقا، فإذا صح ذلك في بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه، فكذلك لا يمتنع وقوعه في الكلام المنثور اتفاقا غير مقصودا إليه، فإذا اتفق لم يكن ذلك شعرا، وكذلك يمتنع التوارد على بيتين، وكذلك يمتنع في الكلام المنثور وقوع بيتين ونحوهما، فثبت بذلك بأنّ ما وقع ذلك الموقع لم يعد شعرا ما إذا قصده صاحبه تأتّى له، ولم يمتنع عليه، فإذا كان هو مع قصده لا

يتأتى له، وإنّما يعرض في كلامه عن غير قصد إليه، لم يصح القول بأنّه شعر أو صاحبه شاعر ولا يصح.

د. الرجز يعرض كثيرا في كلام العوام، فإذا كان بيتا واحدا فليس بشعر، وقد قيل: إنّ أقلّ ما يكون منه شعرا أربعة أبيات بعد أن تتفق قوافيها، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال، فما دون أربعة أبيات فليس بشعر، أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات فليس بشعر، وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي، ويقولون: إنّ متى اختلف الروي خرج من أن يكون شعرا، ولو كان شعرا لكانت النفوس تتشوف إلى معارضته، فطريق الشعر غير مستضعف على أهل الزمان الواحد، وأهله يتقاربون فيه، أو يضربون فيه بسهم.

هـ. الزعم أنّ في القرآن كلام موزون كوزن الشعر لكن غير مقفى، فهو متساوي الضروب، قيل: فمن سبيل الكلام الموزون أن تتساوى أجزاؤه في الطول والقصر والسواكن والحركات، فإن خرج عن ذلك لم يكن موزونا.

و. القرآن ليس من قبيل الشعر ولا توافرت فيه شروطه، فهو من قبيل غير الممدوح ولا المقصود من جملة الفصيح، فأكثره عندهم مستنكر، وليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولا، وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوي في الأجزاء غير الاختلاف الواقع في التقفية، ويبين ذلك أنّ القرآن خارج عن الموزون الذي بيّنا، وتتم فائدته بالخروج منه، وأمّا الكلام الموزون ففائدته تتم بوزنه.

2. ملخص فصل في نفي السجع من القرآن.

ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن، وذكره أبو الحسن¹ في غير موضع من كتبه.

- أثبت غيرهم وجود السجع في القرآن: وذهب كثير من يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أنّ ذلك مما يبين فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة، ويستدلون على وجود السجع هو اتفاق الكل على أنّ موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولمكان السجع قيل في موضع: هارون وموسى، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: موسى وهارون، فالسجع غير الشعر، لأنّ ذلك يفارق أمير الشعر، فلا يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه، فإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي يسمى شعرا، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر.

- قيل إنّ السجع في القرآن كثير، فلا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه، وبينون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع، فالسجع عند أهل اللغة هو موالة الكلام على وزن واحد، والصحيح أنّه لا سجع في القرآن، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجازا، ولو قيل إنّ سجع معجز لجاز أن يقولوا: "شعر معجز"، وكيف والسجع مما كان يألّفه الكهان من العرب، فنفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأنّ الكهانة تنافي النبوات وليس الشعر كذلك، فالرسول نهى عن السجع، فقال للذين جاءوا وكلموه في شأن الجنين: "كيف ندري من لا شرب ولا أكل"، ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل، فقال: "أسجاعه كسجاعة الجاهلية؟ وفي بعضها: "أسجعا كسجع الكهان" فرأى ذلك مذموما لم يصح أن يكون في دلالاته، فالذّي قدره أنّه سجع فهو وهم، فقد يكون الكلام على منوال السجع وإن لم يكن سجعا لأنّ ما يكون به الكلام سجعا يختص

¹ هو أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من ولد أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، توفي سنة 324 هجري. (ينظر: الأعلام للزركلي، ج 4 ص 263).

ببعض الوجوه دون بعض، لأنَّ السَّجْع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس على نفس الحال في الذي قَدَّر فيه السَّجْع من القرآن، لأنَّ اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى، وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ، ومتى ارتبط المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى، فقد يقع ما يشبه السجع في القرآن لكنّه غير مقصود، وذلك في مواضع محدودة، والزعم بوقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وزعم أنّ الوجه في ذلك من باب الفواصل، أو أنّه وقع غير مقصود إليه، وإذا اعترض ذلك في الخطاب لم يعد سجعا، وإنّما يقع مغمورا في الخطاب، فكذلك حال السجع الذي زعموه وقَدَّروه.

-لو كان في القرآن سجعا كان قبيحا ومذموما ومرذولا، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه أو اختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام، فالسجع له منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط، متى أخلّ به المتكلم أو وقع الخلل في كلامه، ونسب للخروج عن الفصاحة، كما أنّ الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا، وشعره غير مقبول، فبعض ما يدّعونه سجع متقارب الفواصل، متداني المقاطع، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، ففي السجع غير مرضي ولا محمود، وقيل إنّ فيه سجعا لكن غير ملتزم، فالجواب على هذا أنّه متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفا للآخر كان تخليطا وخبطا، ومتى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجّع وتفاوتت كان خبطا، وفصاحة القرآن غير مذمومة، فلا يمكن وقوع هذا الاضطراب فيها، ولو كان كذلك لما تحيروا فيه ولعارضوه وهو عادتهم، فكيف تنقض العادة بنفس العادة، وقيل أنّ فيه سجع متداخل وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: 16] فلو

كان كذلك لما تحيروا حتى سمّاه بعضهم سحرا، فهم عاجزون عن طريقه، فالقرآن مخالف لتلك الطريقة من صنوف الكلام الدائر بينهم.

-سبب تقديم موسى على هارون أو العكس.

فما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع، وتأخيره عنه في موضع، لمكان السجع ولتساوي مقطع الكلام، كلام خاطئ، فالفائدة غير ما ذكروه في أنّ إعادة القصة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحد من الأمر الصعب التي تظهر فيه الفصاحة والبلاغة، فأعيدت الكثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونبّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرر، فلو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدا تلك القصة ليعبروا عليها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني وتحويها، ولكذبوه فيم جاء به.

-قيل القرآن كلام مختلط من أوزان كلام العرب: فليل فيه من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم وموزون كلامهم غير المقفى، لكنّه أبدع فيه ضربا من الإبداع لبراعته وفصاحته، وهذا لا يصح، فمن كلامهم ينقسم إلى نظم ومثر وكلام مقفى غير موزون، ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع، ونظم موزون لع روي، فمنها ما هو سجية الأغلب من الناس، فتناوله أقرب، ومنه ما هو أصعب كالموزون عند بعضهم أو الشعر عند الآخرين، فكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن يقع لهم بأحد أمرين: إمّا بتكلف وتصنع أو باتفاق من الطبع، وقذف من النفس على اللسان للحاجة إليه، فلو كان طريقه التعلّم لتعلّموه وأتقنوه.

-نشأة الشعر عند العرب: اختلفوا في ذلك، فليل إنّهُ اتفق في الأصل غير مقصودا إليه، على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام، فلما استحسنوه وسمعوه فألفوه وتقبلته النفوس تتبعوه من بعد وتعلّموه، وحكي على بعضهم أنّ العرب كانت تعلم أولادها الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر، ويسمونه الوضع المتير واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع، فما وقع السبق إليه يشبه إلى حدّ كبير ما قدّمنا ذكره، وذهب آخرون إلى أنّها اصطلاح تواضعوا

عليها وتوقفوا على ذلك، فيمكن القول أنّ التواضع وقع على أصل الباب، وكذلك التوقيف، ولم يقع على فنون تصرف الخطاب.

-أعلمهم الله تعالى بعجزهم عن القرآن ليكون دلالة لهم على نبوته صلى الله عليه وسلم، والقدر الذي ينتهي إليه قدرهم، فهو ما لم يخرج عن لغتهم، ولم يشذ من جميع كلامهم، فعرض في خطابهم ووجدوا أنّ هذا إنّما تعذّر عليهم مع التحدي والتفريع، مع علمهم بطرق وضع النظم والنثر، لو كان القرآن على ما وفق ما ذكره المعترض لوجب أن لا يتحيروا في أمرهم، ولسارعوا إلى الجواب، وبادروا للمعارضة، فكانوا يتفاخرون بذلاقة ألسنهم، فتحيرهم ينبئ على خروجه على عادة كلامهم وخارق للعادات.

-إنّ الفواصل لا تدخل في باب السجع، فقد كانوا يذمون على سجع هرج على الاعتدال، فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها تبلغ كلمات، ولا يرونها فصاحة بل عجزاً، ولو رأوا أنّ ما تلي عليهم من القرآن هو سجعاً لعارضوه، ولا بدّ لمن جوّز السجع أن يسلم بقول الصرفة، ومن قال به عليه التسليم لما ذهب إليه النظام¹، وعباد بن سلمان² فينحو نحوهم في أنّ ليس في نظم القرآن ولا تأليفه إعجاز، ويمكن معارضته، وإنّما صرفوا عنه ضرباً من الصرف، وأنّه منتظم من فرق شتى وأنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها والاستهانة به وبالتحدي الذي وقع فيه.

¹ هو إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، وله مذهب خاص يدعى بالنظامية، تكلم كثيراً في القضاء والقدر، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي 221 هجري. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 10 ص 542، وينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج 6 ص 97-98).

² هو أبو سهل سلمان بن عباد البصري، من أصحاب هشام الفوطي، خالف المعتزلة في أشياء اخترعها لنفسه. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 10 ص 551-552).

3- ملخص فصل في ذكر البديع من الكلام.

هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه البديع؟ فقد ذكر أهل الصنعة في هذا الشأن ألفاظا نذكرها، وهي أنواع مختلفة وعديدة جدا، سنذكر بعضها على سبيل التفصيل، والبعض الآخر على سبيل العموم، فمن البديع في القرآن الاستعارة وهي متمثلة في قول الله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]، وأيضا البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]، والألفاظ الصريحة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، وفي الألفاظ الإلهية كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 91]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: 53]، ومن البديع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير معاش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، كلما سمع هيعة طار إليها"¹ وغيرها من الأحاديث، وهناك كذلك من أقوال أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد: "أحرص على الموت توهب لك الحياة"، ومن أقوال علي بن أبي طالب: "العلم قفل ومفتاحه المسألة" وغيرها من الأقوال الأخرى، وأيضا لديهم البديع في الشعر، فمن البديع في الشعر التشبيه، فمن ذلك قول امرؤ القيس²:

له أبطلا ظبي وساقا نعامة ... وإرخاء سرحان وتقريب تنقل

فشبهه أربعة أشياء بأربعة أشياء أحسن منها، ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الزخرف: 44]، والاستعارة من ذلك قول النابغة³:

وإنَّ أمير المؤمنين وفعله ... كالدهر لا عار بما فعل الدَّهر

¹ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، (ج3، ص1503)، رقم: 125- (1889).

² سبقته ترجمته

³ هو زياد بن معاوية بن ضباب الديناني أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، توفي 604م. (سير الأعلام للزركلي، ج3 ص54-55).

وفي القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الصافات: 49]، ومن البديع الغلو كقول النابغة:

تقد السلوقي المضاعف نسجه ... ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: 8]، ومن البديع المماثلة وهو ضرب من الاستعارة، وهي القصد بالإشارة إلى معنى عن طريق ألفاظ تدل عليه كقول امرؤ القيس:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهزم.

ومن القرآن قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175]، ومن البديع المطابقة وهي ذكر الشيء وضده كالسواد والبياض، فمن المطابقة المنثورة ما قاله بعضهم: "أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان"، ومن القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]، وعرفها آخرون: "اشتراك معنيان باللفظ الواحد" وإليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب، كما قال الأفوه الأودي:

وأقطع الهوجل مستأنسا ... بهوجل مستأنس عنتريس

فالهوجل الأول هو الأرض والثاني هي الناقة.

-ومن البديع التجنيس وهو أن تأتي بكلمتين متجانستين، فالتجنيس أن تشترك الكلمات في الحروف، وإليه ذهب الخليل، ومنهم من زعم أن المجانسة باشتراك اللفظتين في الاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ [الروم: 43]، ومن التجنيس في الشعر قول قيس بن عاصم¹:

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة... كسته نجيعا من دمّ الجوف أشكلا.

¹ هو أبو علي قيس بن عاصم المنقري التميمي، صحابي جليل، ومن سادات العرب وأشرفهم، روى أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج 5 ص 367-368، وينظر: أسد الغابة لابن الأثير، ج 4 ص 411).

ومن القرآن قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 14-15]، ومن البديع المقابلة وهو التوفيق بين معان ونظائرها والمضاد بضده، وذلك مثل الجعدي¹:

فتى ثم ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعدايا.

ومن المقابلة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 53-54]، ومن البديع الموازنة كقولهم: "اصبر على حرّ اللقا ومضض النزال وشدة المصارع"، ونظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: 1-3]، ومما يعدونه من البديع المساواة والإشارة والمبالغة والغلو، والإيغال في الشعر والتوشيح وصحة التقسيم والتكميل والتتميم والترصيع والعكس والتبديل والالتفات والرجوع والتذييل والاستطراد والتكرار والاستثناء والمضارعة والتكافؤ والتعطف والسلب والإيجاب والكناية والتعريض.

فهل لهذه الأبواب من البديع فائدة في معرفة الإعجاز؟ فقد قدر مقدرون أنه يمكن الاستفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب، وذلك مما يمكن الاستدلال به، وليس كذبك عندنا، لأنّ هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب، والوجوه التي نقول أنّ إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها فليس مما يقدر البشر التوصل إليه، فكثيراً من المحدثين قد تصنّع بأبواب الصنعة، فحشى جميع شعره منها.

- غلّ أبو تمام في الصنعة أعماء عن الصواب: فهذا يحدث من تتطع وغلو في الصنعة، حتى يعميه عن وجه الصواب، فيسرف في المطابق والمجانس وغيرها من الوجوه الأخرى حتى استنقل نظمه، فالبحثري في صنعته أحسن من أبي تمام بكثير في تعمقه في وجوه الصنعة على الرغبة في السلامة.

¹ هو عبد الله بن قيس أبو ليلي، من جعدة بن كعب بن ربيعة، جاهلي الشعر، نبغ في الإسلام، توفي 684م. (ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، ج1، ص280).

- لاسبيل لمعرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعوه في الشعر، فليس فيه ما يخرق العادة والعرف، فيمكن استدراكه بالتعلم والتدّرب، كقول الشعر وإلقاء الخطب وغيرها.

- القرآن ليس له مثال يحتذي إليه ولا مقتد يقتدي به ولا يمكن وقوع مثله اتفاقاً، كما يتفق للشاعر البيت النادر والمعنى الغريب، والشيء القليل العجيب، فإنّ ما جرى هذا المجرى يتفق للشاعر في لمع من شعره، ولو كان كل شعره نادراً، وكل كلامه بهيج حسن، ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين، والمتردد بين الطرفين، ولا البارد المستقل، لم يتضح الإعجاز في الكلام والتفاوت العجيب بين النّظام والنّظام.

المطلب الرابع: ملخص فصلفي كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، وأيهما أبلغ الشعر أم النثر؟

1- ملخص فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن.

لا سبيل للعجم لهم معرفة إعجاز القرآن إلا من خلال معرفتهم بعجز العرب الفصحاء عنه، فإذا عملوا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله، وقرّعوا على ترك الإتيان بمثله، فلم يأتوا به، فتبين أنهم عاجزون عنه، فعجز أهل اللسان يثبت عجز غيرهم، فالعرب الفصحاء كغيرهم من الأعاجم، فهم صحيح من أهل اللسان لكنهم يشتركون مع الأعاجم في أنهم لم يبلغوا الفصيح من الكلام ووجوه تصرف اللغة، فلا يمكنهم الوصول لمعرفة الإعجاز فيه إلا بما بينا، فمن تناهى في معرفة اللسان العربي يدرك الإعجاز كما يعرف الصيرفي في النقد ما يعجز عليه غيره.

-أهل الصنعة قد يختلفون في التقييم، وإن كان يبقى مع معرفة الشأن أمرا آخر، وربما اختلفوا فيه، لأنّ من أهل الصنعة من يختار الكلام المتين والقول الرصين، ومنهم من يختار قريب المتناول غير عويص اللفظ ولا المعنى، كما أنّ هناك من يختار عكس ذلك، فقد يفضل أهل الصنعة الصدق، ومن ذلك حين سئل جريرا عن أحسن الشعر فقال:

إنّ الشقي الذي في النار منزله ... والفوز فوز الذي ينجو من النار

فضلّه لصدق معناه، ومنهم من يختار الغلو والإفراط، وأكثرهم على مدح المتوسط بين الغلو والاقتصاد، ومنهم من يرى أنّ أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة ويتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة كالبحتري¹، ومنهم من يميل إلى للرصين من الكلام الذي يجمع الغريب والمعاني مثل أبي عمرو بن العلاء والأصمعي، ومنهم من يختار الوحشي من الشعر.

¹ هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المنبجي، ولد بمنبج من أعمال الشام، وتخرج بها، مدح الخلفاء والوزراء، وقيل عنه بأنّه شاعر دهره، توفي 284 هجري. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج10، ص491، وينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان البرمكي، ج6 ص21-23).

-الشعراء يخالفون اللغويين في تذوق الشعر، فقد ذكر الحسن بن عبد الله أنه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس قال: حضرت مع البحتري مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: وقد سألت البحتري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر فقال البحتري أبو نواس أشعر، فقال عبد الله: إنَّ أبا العباس ثعلبا لا يطابقك على قولك ويفضل مسلما، فقال البحتري: أبو نواس أشعر، فقال عبد الله: إنَّ أبا العباس ثعلبا لا يطابقك على قولك ويفضل مسلما، فقال البحتري: ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون علمه، إنَّما يعلم ذلك من وقع في سلك الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته، فالاختيار ما اختاره أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب الحماسة، وما اختاره من الوحشيات وذلك أنه تنكّر المستنكر الوحشي والمبتذل العامي، وأتى بالواسطة، فالاختيار والتمييز يكون لغرض ما يشتهه على غيرهم، فخير الكلام ما قلّ ودلّ من دون إفراط ولا تفريط ومن غير استكراه ولا استنكار ومن غير ركافة في المعنى، ففضلت العربية لاعتدالها، فأكثر كلام العرب من الثلاثي لأنهم بدأوا بحرف وسكّنوا آخر وجعلوا حرفا وصلة بين الحرفين ليتم الابتداء والانتهاء على ذلك، فأكثر حروف ابتداء السور ثلاثية، فكلام غير العرب في الحقيقة ضيق فيتكرر في بعض الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة، فالعربية أشد اللغات تمكنا لذلك جعلت حلية لنظم القرآن وعلق بها الإعجاز، فكل ما بان الكلام عن ما في النفوس كان أشرف، ففي الكلام ما تقصر العبارة فيه وتفضل المعاني أو العكس، فقليل جدا من يميز بين أصناف الكلام، فكل مبدع يوجد في فنّ معين دون آخر، فلا يخفى على أديب أسلوب شاعر مبدع، ولا يخفى عليه رسائل الأدباء، وقد يتقارب سبك نفر من الشعر فيشتهه، ولا يخفى سارق الألفاظ والمعاني، ولا يخفى كذلك ما يختص به كل فاضل، فهذا زهير وصفوه بأنه أمدحهم وأشعرهم، فالشعراء يغارون على بعضهم، وأهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن.

-علو شأن القرآن لا يخفى على ذي بصيرة، وإذا كان أحد مقصر في الصنعة فلا بد له من التقليد ولا غنى له عن التسليم، فمن أراد معرفة إعجاز القرآن فإننا سنضع بين

يديه الأمثلة، من ذلك تبين وجه النقص في الشعر البليغ، فالبلاغة تختلف عند الأمم، أما البراعة فمعلومة عندهم وكذلك الفصاحة.

-أورد خطبا كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم، منها خطبته بالخيف من منى فقال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهنّ قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والطاعة لذوي الأمر، ولزوم الجماعة المسلمين، فإن دعوتهم تكون من ورائهم"¹، وقال أيضا: "ومن كان همّه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأنته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرّق الله أمره وجعل فقره في عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له"².

-الفرق واضح بين بلاغة القرآن وبلاغة الرسول، فبين الكلامين بون بعيد ومكان شاسع، فنظم القرآن من الأمر الإلهي وكلام النبي من الأمر النبوي، فخطب البلغاء والنبي من نفس النسيج غير أنّ النبي يتميز بالفصاحة البالغة.

-هذا نموذج لخطبة أبي بكر الصديق: "أما بعد، فإنّي وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسنّ النبي صلى الله عليه وسلم، وعلمنا فعلمنا، واعلموا أن أكيس الكيس التقى، وإنّ أحمق الحمق الفجور، وأنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأنّ أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيّها النّاس إنّما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني".

فهذه الخطبة فصيحة من خطباء العرب وإلا فذكر في الكتاب العديد منها، فانظر الفرق الظاهر البيّن بين كلام البشر وكلام الله، وتأملها أيضا في الكتب المصنّفة في هذا الشأن، فتأمل بعقل وحكمة يتبين له الفضل بين كلام الله وكلام النّاس، فإن خيل له أنّ كلام البشر أفضل وأفصح من القرآن فقد سؤل لك الشيطان.

¹ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب العلم، باب وأما حديث كعب بن مالك، (ج1، ص162)، رقم:294، وقال:

حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي تعليقا: على شرط الشيخين.

²مسند أحمد لأحمد بن حنبل، مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت، (ج35، ص467)، وقال إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (ج4، ص224)، رقم:2465.

2. أيهما أبلغ الشعر أم النثر؟

يقول أفضل أهل العلم والأدب أن الشعر يلي النثر في المرتبة، فالنثر يأتي فيه من الكلام الفصيح البليغ ما يتأتى في الشعر، فالشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه، فلا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا كانت تتوافر فيه شروط الفصاحة، وأبدع إذا تضمن أسباب البلاغة، فالبارعون في النثر قلة، فمعظم بلاغة كلام العرب في الشعر، ولا نجد في منثور قولهم ما نجد في منظومه، فهذا المنتبى كان يرى الفصاحة في الشعر، فقد حكي عنه أنه كان ينظر في المصحف، فدخل عليه أصحابه، فأنكر نظره فيه لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده، فقال له: هذا المكي على فصاحته كان مفعما، فهو يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر أبلغ.

-فصاحة القرآن تفوق كل نظم ويتقدم في بلاغته على كل قول، بما يتضح به وضوح الشمس، وليبان ذلك سنظهر عيوب أبلغ الشعر، وسنعمد إلى قصيدة متفق على كبر محلها، وصحة نظمها، وجودة بلاغتها ومعانيها، فهو من المتقدمين في الصناعة، ومعروف بالحدق في البراعة، فسنقف على مواضع الخلل فيها وتفاوت النظم وشدة تعسفها، أما كلام مسيلمة الكذاب فإنه كلام سخي لا نشغل به، فمن كلامه: "والليل الأطخم، والذئب الأذل، والجذع الأزل" وغيره من كلامه الذي ادعى أنه قرآنا، ثم التقت سجاح بنت الحارث بمسيلمة الكذاب، فقالت له: ما أوحى إليك؟ فقال: "ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا" فشهدت بأنه نبي، ولم تذكر كل ما ذكر لسخافته، فكلامه لا يصدقه عاقل.

-نتطرق للحديث عن الأشعار المتفق على جودتها، منها معلقة امرؤ القيس، فجودة شعره معلومة جدا، فاتبع فيه أمورا من البديع جميلة جدا، فشعره يعد ميزان الشعراء، والشعراء يتشوقون لمعارضته، وتساويه في طريقته، وغيرها من مميزات شعره، فهذه عورات امرؤ القيس في أروع شعره:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بن الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال

فالمتعصبين له يقولون هذا من البديع لأته وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر العهد والمنزل والحبیب، وتوجع واسترجع.

1. استوقف من يبكي لذكرى حبيب، وذكره لا تقتضي البكاء، فيصبح طلب الإسعاد في مثل هذا، على أن يبكي لبكائه، ويرق لصديقه في شدة برحائه، فبكاؤه على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال، وأيضا كثرة ذكر الأماكن ليس ضروري وكان عليه الاكتفاء ببعضها، وعفاء الرسم أدل على الوفاء للعهد.

2. امرؤ القيس يكذب نفسه، لأته قال عقب البيت: " فهل عند رسم دارس من معول"، فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه، كما قال زهير:

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... نعم وغيرها الأرواح والديم

ففي البيت تناقض، وقال غيره: " أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كليا، والثاني أنه ذهب بعضه، حتى لا يتناقض الكلامان، وتعسف عندما قال: " لما نسجتها" فكان عليه القول: "لما نسجها" فجعل ما في تأويل التأنيث لأنها في معنى الريح، والأولى التذكير دون التأنيث، وكان الأولى القول: " لم يعف رسمه" لأته ذكر المنزل، وإن أراد بالمنزل الدار فهو خلل أيضا، ثم قال:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسي وتجمل

وإن شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول؟

-فليس في البيتين معنى بديع ولا لفظ حسن، فالبيت الأول منهم متعلق بقوله: " قفا نبك"، فكأته قال: قفا وقوف صحبي بها على مطيهم، أو قفا حال وقوف صحبي، وقوله: " بها" متأخر في المعنى وإن تقدّم في اللفظ، ففي ذلك تكلف وخروج عن اعتدال الكلام، والبيت الثاني مختل من جهة أنه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا، وقوله:

كأدبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

إذا قامتا تزوع المسك منهما ... نسيم الصبا يأتي برياً القرنفل

فالأول قليل الفائدة ليس له بهجة، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وإن كان منزوع المعنى، والثاني فيه تكلف وذلك: "إذا قامتا تزوع المسك منهما"، ولو أراد أن يوجد أفاد أن بهما طيباً على كل حال، فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير، ثم فيه خلل آخر لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك، شبه ذلك بنسيم القرنفل، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص، فنكتفي بهذا القدر من أبيات القصيدة، فإن كنت من أهل الصناعة فطنت وعرفت ما نرمي إليه، وإن كنت خارجاً عن ذلك فلن يكفيك البيان ولو استقرئنا جميع شعره، وعامة ألفاظه، فمن هذه القصيدة أبيات سوقية مبتذلة، وأبيات متوسطة وأخرى ضعيفة مردولة، وأخرى وحشية مستكرهة، وأبيات أخرى بديعة، ومما رأوه أنه من البديع في هذا الشعر:

ويضحى فتبت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

ومعنى ذلك أنها مترفة متنعمة، لها من يكتفيها، ومعنى قوله: "لم تنتطق عن تفضل" يقول لم تنتطق وهي فضل وعن: هي بمعنى بعد، قال أبو عبيدة: لم تنتطق فتعمل ولكنها تفضل، ومما يعدونه من محاسنه:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكل كل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... يصبح وما الإصباح منك بأمثل.

فهذه القصيدة تتفاوت في أبياتها في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والاسترسال والاستكراه، فلامرؤ القيس شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها، فكما كنا نحب أن نتكلم في قصائد مشهورة، فرأى أن ذكر الفضائل والنقائص يخرج به عن التقد، فلم يذكر أخطاء امرؤ القيس في

النحو والعروض كما يفعل الأدباء فكل ذلك خارج عن موضوع الكتاب، فطريقة الشعر شريعة مورودة.

- تنبيه العقول وتحنار في بحر القرآن وإعجازهم حيث نظمهم وتأليفه ورفسه، وسنبيين ما تستدل به على الغرض:

1. إعجاز القرآن علم شريف المحل، عظيم المكانة، قليل طلابه، وهو أدق من السحر، وأعجب من الشعر، وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعرا أو سجعا، وليس كذلك، فأحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتنزل عن مكان لا تنزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها وتجده فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجدر الأخرى، ولو وضعت موضعها في محل نفار ومرمى شراد، ونايبة عن استقرار، فلكل شيء سبب ولكل على طريق، وتنتظر فيما نعرضه عليك للوقوف على إعجاز القرآن، فالله تعالى يصف القرآن فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَلِهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42]، فسمّاه حكيما وعظيما، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

2. القرآن هو المخرج من الفتنة، عن علي رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله أمتك ستفتن من بعدك، فسأل أو سئل: ما المخرج من ذلك، فقال: "بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"، من ابتغى العلم في غيره أضله الله، ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، ففيه خبر من قبلكم، وتبيان من بعدكم، وهو فصل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: 1-2]، فلا تفنى عجائبه، فمن قرأ القرآن أعطي

النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه، فله الأثر الكبير على البلاد والعباد، حيث أنه نور الأرض بأنواره، ونفذ في العالم حكمه، وطمس ظلام الكفر، فليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته، أو يعبده حق عبادته، أو يدين بعظمته، أو يعلم علو جلالته، أو يتفكر في حكمته، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 51-53]، فهو روح من أمر الله، فقله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يدل صدوره من الربوبية، ويبين وروده عن الألوهية، فهو نور يهدي العباد حيث قال تعالى: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فجعله روحا يحيي الخلق، فله فضل الأرواح في الأجساد، فهو نور يضيء ضياء الشمس في الآفاق، ففوق الهداية به إلى مشيئته، ووقف وقوف الاسترشاد به على إرادته، فلم يكن ليهتدي إليه لولا توقيفه، ولم يكن ليعلمه لولا تعليمه، ولم يكن ليهتدي فكيف يهدي، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، فالكلمتان الأوليان مؤتلفتان، وقوله: ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ كلمة منفصلة ملائمة للأولى، وقد صيرها شريف النظم أشد اتئلافا من الكلم المؤلف، وألطف انتظاما من الحديث الملائم، فهذا تظهر فصاحة الكلام وبلاغته.

3. ظهور قدرة الله ونفاذ أمره، فالحال أبين من أن يكشف، فقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: 96]، فهذه الكلمات الأربع احتج بها على ظهور قدرته، ونفاذ أمره، فما أروع هذه البلاغة، فكل كلمة أو لفظة تتضمن شرط القول البليغ، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: 37-39]، فكل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع،

فإذا كانت الآية نظمها بديع، وتأليفها من البلاغة، فطبيعي أن تفوق حدَّ المعهود، ولا تتعالى على كلام الخلق.

-أقصد سورة النمل فتصرف في معرفة قصصها، وما فيها من براهينها، فتأمل سورة النمل، فأتى القرآن على ذكر القصة بضروب مختلفة، فبدأ بذكر السورة إلى أن ذكر أنّ القرآن من عنده، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:6]، ثم ذكر قصة موسى عليه السلام وأنه رأى نارا فقال: ﴿لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل:7]، ثم تحداهم عن الإتيان بمثله فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:34] ليكون أبلغ في التعجيز وحجة عليهم، ثم انظر إلى علو أمر النداء، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:8]، فانظر إلى ما جرى من الكلام في علو أمر النداء، وعظم شأن هذا النداء، فانظم مع الكلام وسياقه، فجعله ذليلا يدل عليه ومعجزة تهديه إليه، ثم انظر إلى الكلمات المفردة القائمة بالحسن وما تتضمنه من المعاني، فانظر إليها آية آية وكلمة كلمة وسترى من عجيب النظم وبديع الرصيف وكيفية الانتقال من باب إلى آخر من دون خلل، وبروعة التأليف وبلغ التنزيل، فإذا كنت من أهل الصنعة فعبر عن قصة بأسلوبك حتى يتبين لك النقص الظاهر في كلامك مقارنة بالقرآن، فبهذا ستعود لرشدك وعقلك وتستر نقصك وتقصيرك، فلا يمكن لأي بليغ أن يأتي بمثل نظم القرآن، فقال تعالى: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:31]، فمتى تهياً للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان، بعد ذكر العنوان والتسمية، فهي كلمة شريفة، الخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير، واشتعلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار وأمرها، وطاعتها بتلك الألفاظ البديعة، ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ [النمل:32]، وذكر قولهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:33]، فلا تجد في وصفهم أنفسهم أبداع مما وصفهم به، وقوله: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ لتعلم براعته في نفسه

وعجيب معناه، وتمكن الفاصلة وملائمته لما قبله، فانظر إلى براعته في الاختصار مع البيان والإيجاز، لكن غير القرآن ليس فيه هذا الاختصار مع الإفادة.

-تعادل نظم القرآن في مواقع القرآن: وهو من الأشياء الدالة عليه، فالتعادل في مواقع الآيات القصيرة والطويلة والمتوسطة، فانظر في ذلك آية آية أو سورة سورة في جميع السور، وإن طال عليك الأمر فاقصر على واحدة، فتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:4]، هذه تشتمل على ست كلمات فيها من الرونق البديع والفصاحة بقدر جميل، وهي تشتمل على جملة وتفصيل، وتفسير ذكر العلو في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء، وإذا تحكم بهذين الأمرين، فما ظنك بما دونهما، فالنفوس لا تطمئن لهذا الظلم، ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد، وردت آخر الكلام على أوله، وعطفت عجزه على صدره، ثم قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:5]، فهذا من التأليف بين المؤلف، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:68]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:58]، ومن المؤلف قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص:81]، فهذه السور فيها من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته، ولن يستطيع أيا كان وصول نظم القرآن من شتى الجوانب، فالشاعر عند منتهى جودة شعره لا يبلغ جودة القرآن، وإذا أردت التحقق من ذلك ما عليك إلا التأمل في كلام فطاحلة الشعر.

-يمكن معرفة إعجاز القرآن لو تمثل في سورة واحدة فما بالك بجميع القرآن، فانظر إلى قدر قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء:53] إلى قوله تعالى: ﴿

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿[الشعراء:57-60].

حتى قال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:63]، وانظر إلى الإعجاز الذي تحويه قصة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:192-195]، وهي كلمات مفردة بفواصلها، ففيها فاتحة وفاصلة، ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة، ومنها ما هي بفاصلتها تامة، فدلّ على أنّه نزل على قلبه ليكون نذيراً، وبيّن أنّه آية لكونه نبياً، ثم وصل ذلك لكيفية النذارة فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:214-215]، فتأملها آية آية لتقف على مواطن الإعجاز، ثمّ راع المقطع العجيب وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:227]، فهل يحسن أحد على أن يأتي بمثل هذا الوعيد، وهذا النظم، ومن كلام الله المؤتلف قوله تعالى: ﴿حَم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر:1-3]، فهل في كلام البشر مثل ما هو محتوى في هذه الآية من شريف المعاني، وحسن الفاتحة والخاتمة، وقرأ ما بعدها لتقف على عجيب الانتقال بين أمور مختلفة في نظم واحد، ثم ذهب لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر:5-6]، فوجه الوقوف على شريف الكلام بتأمل موقع قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، وهل تقع في الحسن موقع ليأخذوه كلمة؟ وهل تقوم مقامه لفظة؟ فلو وضعت مكانه لفظة أخرى لم يكن ذلك عجيباً ولا بالغا، وانظر إلى ما قاله من رد عجز الخطاب إلى صدره بقوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، فذكر عقابها العذاب في الآخرة، وأتلاها تلو العذاب في الدنيا على الأحكام الذي رأيت، ثمّ ذكر المؤمنين بالقرآن، بعد ذكر المكذبين للآيات والرسول، فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿غافر:7﴾، فكل كلمة من القرآن إذا رآها الإنسان في رسالة كانت عينها، أو خطبة كانت وجهها، أو قصيدة كانت غرة غرتها، فبلاغة القرآن ليست في سورة دون سورة بل في جميعه وفي جميع ما يتضمنه من المعاني، فنظمه لا يتفاوت في شيء ولا يتباين في أمر معين.

-إعجاز القرآن في الأحكام وغيرها من آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة:4]، ففي هذه الآية من الحكمة، والتصرف العجيب، والنظم البارع، ما يدل على شئت على الإعجاز، مع هذا الاختيار أو الإيجاز، فكيف إذا بلغت ذلك آيات وكانت سورة، فإعجاز القرآن موجود أيضا في آيات الإعجاز والتوحيد وإثبات النبوة، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:22]- [23]، و آيات التوحيد كقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:65]، ففكر في جميع القرآن على هذا الترتيب والتتزيل حتى يصل إلى النور من لم يصل إليه، ويزداد الذي وصل بصيرة، فالله تعالى لم يأمر بالتعوذ إلا لأمر عظيم الشأن.

-إن العلماء بالشعر والأدب قلائل، فهذا أبو عمرو بن العلاء¹ يقول: "العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر"، فالعلماء يختلفون في الأحسن من الكلام، فإن احتاروا في فصاحة القرآن، فقد احتار القوم الذين لم يكن أحد أفصح منهم ولا أتم بلاغة منهم.

-إن أحسن الكلام هو كلام الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

¹ هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار العريان التميمي البصري، وهو شيخ القراء بالبصرة، وهو أحد القراء السبعة، برز في النحو والقراءة، توفي 771 هجري. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج6 ص407-408).

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿[الزمر: 23]﴾، فيكفي معرفة الحسن القليل لتسندل به على الكثير، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فلا يعرف ذلك إلا بهداية الله، فالآيات تنقسم إلى قسمين، الأول ما يتم بنفسه أو بنفسه وفاصلته، فينير في الكلام إنارة النجم في الظلام، والثاني: ما يشتمل على كلمتين أو كلمات إذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية البراعة، وغاية البلاغة بين كلام كثير.

-هناك كراهية لتضمين القرآن في الشعر، فغير القرآن يتفاوت لأن به اضطراب، ويحدث له اختلال في تصرفه ومعانيه، فيتفاوت التفاوت الكبير في طرقة، يكثر فيه التكلف والتصنع، أما القرآن مهما اختلفت وجوهه لا يتفاوت وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82] وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28]، أما غير القرآن فهو كثير التلون والتغير، فقد قيل:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه ... لسان دعي في القريض دخيل

فإن قيل إن في القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة، فمثلا في آيات الأحكام كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23]، فليس فيها براعة، قيل: إن ذلك يجري مجرى ما يحتاج ذكره من الأسماء والألقاب فطلب البلاغة في هذا ضرب من الجهل، فالآيات الأحكام طبيعة خاصة بها، وأيضا هناك أبواب كثيرة لم نستوفها طولها، فمنها الإشارات والكلام، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، فنتضمن هذه الآية الأمر العظيم والمقام الكريم، ثم قال تعالى: ﴿وَأْتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: 2]، فهذا خروج لو كان في غير هذا الكلام كان في صورة المنقطع، لكنّه عجيب أمره، لكنّه لا يظهر عليه الخروج، ثم تأمل حسن الانتقال من قصة موسى إلى قصة نوح وفصل في ذلك عن حاله، ثم ذكر الله تعالى الموعظة

بعد تناوله للقصة، فلم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة، على أعجب تدرّج، وأبدع تاريخ، بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَّبِيرًا﴾ [الإسراء:7]، ولم ينقطع بذلك الكلام، أنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه، إلى أن خرج إلى قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَا﴾ [الإسراء:8]، يعني إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو، ثم خرج خروجاً آخر إلى ذكر القرآن، فالقرآن هو كلام شريف لا يقاس بغيره، من عارض القرآن بشعر امرؤ القيس أضل من حمار أهله وأحمق، فكلامه به القبيح وغيره من الكلام غير المفيد، فإن قيل بأنك تتحامل على امرئ القيس وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام، ويقدمون رأيه على كل رأي، فالشعر لا يجوز موازنته بالقرآن، ولا يجوز إطلاقاً الظنّ بأنّ جنس الشعر معارض للقرآن، لأنّ روائع الشعر فيها مأخذ كما تقدّم بيانه في ذلك، قد ذكر أبيات يحلّ وينقد فيها الشعر، لكنّ السابق كفيل ببيان ذلك فلا داعي للإطالة والحشو، والشعر كذلك هو ملتصق مستدرك والقرآن لا يدرك.

-إنّ معرفة الكلام أشدّ من معرفة كل صناعة بجميع ما وصفت لك، وأغمض وأدق وألطف، وتصوير ما في النفس والقلب، وإن كان قد يقع بالإشارة، ويحصل بالدلالة والإمارة، كما يحصل بالنطق الصريح، وللإشارة مراتب، ولللسان منازل، ورب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جبهته لا خلف فيه، وإذا صدق الوصف انقسم إلى صحة وإتقان، وحسن وإحسان، وإلى إجمال وشرح، وإلى استيفاء وتقريب، وغيرها من الوجوه الأخرى، فوصف الجملة الواقعة كقوله: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف:18]، والتفسير كقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:47]، إلى آخر الآيات في هذا المعنى، ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة كقوله حكاية عن السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا، فقالوا: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:50]-

[51]، ومن باب التسخير والتكوين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:65].

-تحدّث على كتاب البحري لأنّ الكتاب يفضلونه على أهل دهره ويقدمونه على من في عصره، ومنهم من يدّعي له الإعجاز غلوا، وهناك من طعن فيه من الملحدين ووجهوا به شبهات لكنّ الإجابة عنها بما سلف ذكره، وإن سهل الله ما نوبناه من إملاء "معاني القرآن" ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكره، فأكثر الطعن فيه يقع بجهل القوم للمعاني أو بطريقة كلام العرب.

-إنّ من تعدّر عليه الحكم بين الشعراء كيف يمكنه النظر في القرنين، فمن تعدّر عليه الحكم بين البحري وأصحابه، ولم يعرف سخف مسيلمة الكذاب، فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بيننا، فهناك من يعترض ويقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب، ويبلغ في الفصاحة والنظم العجيب، ولا يبلغ عندهم حدّ العجز، فلم قضيتم به في القرآن دون غيره من الكلام، إنّما لم يصح هذا السؤال وما تذكر فيه أشعار في نهاية الحسن، وخطب ورسائل في غاية الفضل، فهذه الأجناس وقع فيها النزاع، فكان البون فيها بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريبا، والتفاوت خفيفا، وذلك القدر من سبق إن ذهب عن الواحد لم ييأس منه الباقي، ولم ينقطع دون مجاراته، والطمع يرتفع عن مباراته، وأنّ الكل في العجز عنه على حدّ واحد، وهناك من يزعم أنّ كلام الجاحظ من السمت الذي لا يؤخذ فيه، والباب الذي لا يذهب عنه، وأنت تجد قوما يرون كلامه قريبا، ومنهاجه معييا، ونطاقه قولاً ضيقاً، حتى يستعين بكلام غيره من الحكم والأبيات والقصص العجيبة، والجاحظ يستعين بكلام غيره ويركب منه كلاماً آخر، وانظر إلى كتبه في نظم القرآن، وفي الرد على النصارى والخبر الواحد، فبعض الكتاب من المتأخرين قد نازعوه في طريقته وجاذبوه على منهجه، فمنهم من سواه حين ساماه، ومنهم من أبرّ عليه إذا باراه، هذا يدل على أنّ الشيء إذا استحسنته، فهناك من استحسنته ولم يعارض القرآن، فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن بهذا الغرض وحده، لكثرت المعارضات، ودامت المنافسات، فهناك دواعي لا انتهاء لها وجوانب لا حدّ لكثرتها،

لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه، وإدخال الشبهات على قلوبهم، فكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الأرواح، والمخاطرة بالأموال والأولاد، في وجه عداوته، ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربتة، فهذا الذي تم عرضه على قلبك يكفي للهداية والرّشاد.

-المبحث الرابع: ملخص الجزء الثاني من الكتاب.

-المطلب الأول: ملخص فصل في جوانب إعجاز القرآن وملخص فصل

في التحدي وفصل في قدر المعجز من القرآن.

-الثاني: ملخص في هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة وملخص

فصل فيما يتعلق بالإعجاز.

-المطلب الثالث: ملخص فصل في وصف وجوه البلاغة.

-المطلب الرابع: ملخص فصل في حقيقة المعجز وملخص فصل في كلام

النبي وأمر تتصل بالإعجاز.

المبحث الرابع: ملخص الجزء الثاني من الكتاب.

المطلب الأول: ملخص فصل في جوانب إعجاز القرآن، وملخص فصل في التحدي، وملخص فصل في قدر المعجز من القرآن.

1. ملخص فصل في جوانب إعجاز القرآن.

- رد شبهة حول الإعجاز

قد يقول قائل إن كان أعجز أهل عصر النبي، فقد لا يعجز من أتى بعدهم.

الردّ على الزعم: هذا سؤال معروف، ويجاب عنه من وجوه: منها ما هو صواب، ومنها ما فيه خلل، لأنّ من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدرّون على معارضته في الإخبار عن الغيوب، إن قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسألة لأنّ نظمه معجز لا يقدر عليه، وأيضا فإذا عجز أهل عصر النبي فمن باب أولى عجز من بعدهم، فالطريق في علم كل واحد من الأمرين هي واحدة، والتحدي واحد.

2. ملخص فصل في التحدي.

لا تصح بعثة نبي من الأنبياء إلا عند الإتيان بدلالة تدل على نبوته ومعجزة بذلك لأنه لا يكون معجزا إلا إذا وقع التحدي بالمعجزة، وفشل الطرف المتحدّي في الاختبار، فاحتيج للتحدي في القرآن لأنّ من الناس من لا يعرف أنّه معجز، ومتى علم ورأى عجز أهل الزمن الأول عن الإتيان بمثله عند التحدي صار بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصا ثعبانا تتلقف ما يافكون، فالقرآن لا يكون معجزا حتى يعجز الجميع، وأهل الصنعة يعرفون عجزهم وإعجازه، وبالتالي كذلك علم إعجازه عند من لا يستطيع الوصول إلى أنّه معجز.

3. فصل في قدر المعجز من القرآن.

قال الباقلاني: ذهب عامة أصحابنا - الأشاعرة - أنّ أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ولو كانت قصيرة كسورة الكوثر، ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر، وذهب المعتزلة أنّ كل سورة برأسها فهي معجزة، وحكي عنهم ذلك مذهب الأشعريين، ومنهم من اشترط الآيات الكثيرة لا كون الآية بقدر السورة فعلم ضرورة إعجازه، فأبو الحسن الأشعري يقول أنّ كل سورة قد علم كونها معجزة بعجز العرب عنها، فاختلف الأوجه مفيد، لأنّ ما علم به كون جميع القرآن معجزاً في كل سورة صغرت أو كبرت فالحكم في الجميع واحد، والوجه الآخر يعلم به استواء البليغ وغيره في أن لا يعلمه معجز إلا عند الاستدلال به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء، فإن ادّعى مدع أنه لا يقع الإعجاز في القرآن فالرد عليه بما سبق علم إعجاز السور القصار، وليس بممتنع أن يكون في بعض القرآن أظهر، فالكلام يقع فيه البليغ والأبلغ.

المطلب الثاني: ملخص فصل هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة، و ملخص فصل فيما يتعلق بالإعجاز.

1. ملخص فصل في هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة

ذهب أبو الحسن الأشعري إلى ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة، فكونه معجزاً يعلم بالاستدلال، فالأعجمي يعلم الإعجاز بالاستدلال وكذلك غير البليغ، أمّا البليغ يعلم من نفسه ضرورة عجزه

2. ملخص فصل فيما يتعلق به الإعجاز.

الذي يتعلق به الإعجاز هو نظم القرآن، فهو الذي تحدّاهم به، لا بمثل الكلام القديم فقد تحدّاهم أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة

كاتبها مطردة كاطرادها، ولم يتحداهم بالكلام القديم الذي لا مثل له، فالتحدي في الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه، ودلالة عليه، وأمانة له، فالتوراة و الإنجيل هي من الكلام القديم، فهناك من جوّز أن يكون التحدي بمثل الكلام القديم، وهم بعض الأشعريين، لكن الغالب خلاف ذلك.

المطلب الثالث: ملخص فصل في وصف وجوه من البلاغة.

ذكر أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

1. الإيجاز: فأما الإيجاز فإثما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة، فينقسم إلى حذف وقصر، فالحذف: الإسقاط للتخفيف كقوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: 21]، وحذف الجواب كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: 31]، فالحذف أبلغ من الذكر لأنّ النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب، والإيجاز بالقصد كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179].

2. التشبيه: يكون بالعقد بين شيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، كقوله: ﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171].

3. الاستعارة: ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه، كقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: 154].

4. التلاؤم: هو حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب فهو تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر، كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فهو من شعر الجنّ، حروفه متنافرة، ولا يمكن أنشاده إلا بتتبع فيه، والتلاؤم على ضربين، أحدهما في الطبقة الوسطى، والآخر في الطبقة العليا كالقرآن الكريم، أما

المتنافر فذهب الخليل أنه من بعد شديد، أو قرب شديد، فإذا بعد فهو كالطفرة، وأذا قرب كان بمنزلة مشي المقيد.

5. الفواصل: وهي حروف متشاكله في المقاطع، يقع بها إفهام المعني، وفيها بلاغة، وتابعتها المعاني، وتقع الفواصل على حروف متجانسة كما قد تقع على حروف متقاربة، ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة، فالكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي.

6. التجانس: هو على نوعين مزوجة كقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]، والمناسبة كقوله: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: 127].

7. التصريف: هو تصريف الكلام في المعاني، كتصريفه في الدلالات المختلفة: كتصريف الملك في معاني الصفات، فصرف في معنى مالك وملك وذو الملكوت والمليك، وفي معنى التملك والتملك والإملاك، وأيضا كما كرر قصة موسى.

8. التضمين: هو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه، وذلك على وجهين: تضمين البنية كقولنا معلوم يوجب أن لا بد من عالم، وتضمين يوجبه معنى العبارة، كالصفة بضارب يدل على مضروب، والتضمين كله إنجاز، ومن باب التضمين قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنها تتضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله أو التبرك باسمه.

9. المبالغة: هي الدلالة على كثرة المعنى، وبها وجوها، منها مبالغة في الصفة كقولك "رحمان"، وكقوله غفار، وكذلك فعال وفعول كقولك شكور وغفور، وفعال كرحيم، وأيضا المبالغة باللفظة التي هي صفة عامة، كقوله: ﴿خالقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102].

10.البيان: فهو على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، فيقع فيه التفاضل قال تعالى:﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمن:1-3]، والبيان على مراتب مختلفة، فمن النَّاس من يريد أخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرناها، ومن الإعجاز ما لا سبيل إليه إلا بالتعلم عن طريق مقارنته بما يتصل به من الكلام، فالإعجاز في الآية التي وقع بها التشبيه هو لنظمها وألفاظها لا للتشبيه الذي فيها.

1.إنَّ القرآن هو أعلى منازل البيان، وأعلى مراتب ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، ووقوعه في النَّفس وتقبلها له، هذا فإذا علا الكلام وقع في القلوب، وتمكَّن في النفوس، فأذهل وأبهج وأثر، فالكلام ينبئ عن مكانة صاحبه، وعظيم شأنه، والأمثلة في ذلك عديدة جداً، فالشيء إذا صدر من أهله اتضحت فخامته وبيانه، فالقرآن أشرف بيان، فتأمل في قوله تعالى:﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[الزخرف:5] في شدة التنبيه على تركهم الحق، وموضع امتنانه بالذكر والتحذير.

2.قيل إنَّ البيان قد يتعلم، فالذي يمكن أن يتوصل إليه بالتعلم يتفاوت فيه النَّاس، وتنتاهي فيه العادات، فلو كان كلام الشاعر يطرد على البديع الرائع لأمكن أن يدَّعي إعجازه، لكنّه مهما وصل فهو كلام شريف بديع لكنّه ليس بمعجز، وقدّر المعجز من الكلام هو السورة طويلة كانت أم قصيرة، وهو مما لا يقدر عليه بشر مطلقاً.

3.القول بأن في ديوان الشاعر قد يتفق في شعره قطعة عجيبة شاردة تباين جميع ديوانه، وقد يقع فيه بيت يخالف معهود أبياته، وأراد أن يجعلها على نفس البيت المخالف لم يستطع، فالجواب هو أنّ هذا النوع غير موجود في أشعار جميع العرب وشعرهم محفوظ ومكتوب فلم يجد مما ذكر شيئاً منه، فلما انعدم ما ينافس القرآن في البلاغة والإعجاز، علم علم اليقين أنّه مناقض لجميع مألوف كلامهم وخطبهم.

المطلب الرابع: ملخص فصل في حقيقة المعجز، وملخص فصل في كلام النبي وأمر تتصل بالإعجاز.

1. ملخص فصل في حقيقة المعجز.

المعجز هو الذي لا يقدر عليه البشر وموافق لأصول ومعهود الكلام والخطاب والمعجز هو الدال على صدق نبوة النبي، وهو الذي انفرد الله تعالى به لقدرته عليه، وكذبك معجزات الأنبياء من المعجز، فلو قدر العباد على مثل القرآن لبطلت دلالة المعجز، فالتواضع ليس على قول الشعر ووجوه النظم، فالقرآن لم يكن من القبيل الذي عرفوه، فالعرب تعرف ما يبين عاداتها من الكلام البليغ، فلا كلام أزيد في البلاغة من القرآن، وأيضا من المعجز إخباره عن الغيبات، فلا إمكانية للطعن فيه وإلقاء الشبهات عليه، فلم يأتي أحد يشكك فيه، ولن يأتي، ولا يأتي، فالقرآن آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]

ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبنية عليه، ولا يمكن لأي كتاب منزل مشاركته في الإعجاز، فالله قادر على نظم القرآن في المرتبة التي لا رتبة بعدها.

2. ملخص فصل في كلام النبي وأمور تتصل بالإعجاز

أ. القول أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، وقد قال هذا وهو صادق في ذلك، فهل قلتم أنّ القرآن من نظمه لقدرته على الفصاحة بمقدار لا يبلغه غيره، فالردّ على هذا أنّ الموازنة بين خطبه وكلامه وبين نظم القرآن تبيّن من البون بينهما مثل ما بين كلام الله وكلام النَّاس، ولا معنى لدعوى أنّ كلام النبي معجز وإلا لما كان دون القرآن في الإعجاز.

2. لو لم يكن كلامه معجزا لما اشتبه على ابن مسعود في الفصل بين المعوذتين وغيرها من القرآن، ولما اشتبه دعاء القنوت هل هو من القرآن أم لا، فلا يمكن أن يخفى القرآن عليهم وهو بين أظهرهم وفي صدورهم محفوظ مضبوط، فيمكن أن يكون شذّ عن مصحفه لتعويله على حفظ الكل إياه، وأيضا الذي يروونه هو خبر الواحد لا يمكن العمل به، وهذا نحو ما يذكره الكثير من الجهّال من الاختلاف بين مصحف ابن مسعود وعثمان بن عفان، فابن مسعود لم ينكر المعوذتين من القرآن ولو أنكرهما لتصدى له الصحابة وقد ناظروه في أمور أقل من ذلك، وقد صح الإجماع على ما جمعه في المصحف، ويمكن أن يكون اشتبه على الناقل لأنّه خالف في النظم والترتيب فلم يثبتهما في آخر القرآن، فالقدر الذي بين كلام النبي وكلام العرب لا يصل حد الإعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير.

3. القول لو كان غير ما ادعيتم لعرفنا أنّ معجز دون غيره، قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه، فالفرق بين كلامه وغيره من الكلام يحتاج إلى تأمل وتدقيق ونظر وتفكر وتأمّل.

4. القول لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه إعجازه، فهذا قد يثبت الشيء دليلا ولو اختلفوا في وجه دلالة البرهان، كالاختلاف في الاستدلال على حدوث

العالم من الحركة والسكون، فالمخالف يتعذر عليه معرفة أنّ القرآن كلام الله، والمؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا وهو فقد العلم بكيفية النظم، وبالتالي لا يقدرّون عليه، والذي أفحم قد يعلم التركيب النظم لكن لا يقدر عليه، وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة، وعند قول الكلام يتباين كلام إحداهما على الآخر، فالعالمان يستويان في كيفية الصناعة والنسج، لكن يختلفان في اللطف من الصنعة.

4. ذهب بعضهم أنّ القرآن معجز لما أنزله جبريل عليه السلام، فانتقضت العادة وصار معجزا بهذا الوجه، وقال به أبي هاشم، لكنّه قول فاسد، لأنّه يترتب على ذلك القدرة على الإتيان بمثل القرآن، وإن لم يتعذر عليهم فعل مثله وإنّما تعذر بإنزاله فالحقيقة لا يقدرّون عليه لا قبل النزول ولا بعده، فالمعجز عندهم هو الذي تعذر فعل مثله، وكان متعذرا قبل نزوله وبعده، فأما الكلام في التأليف، فمنهم من ذهب أنّ له نهاية، ومنهم من قال عكس ذلك لأنّه جرت به العادة، وما لم تجر به فلا إمكانية لعلم نهاية النهاية فيه.

فصل في شرط المعجز

من شروط المعجز أن يعلم أنّه أتى به من ظهر عليه وهذا أمر حتمي، لأنّه لو بعلم أنّ النبي أتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته، لم يمكن الاستدلال به على نبوته، فعلى هذا لو ادعى رجل سورة وتظاهر بها على أنّها معجزة له، لم تقم البيّنة عليهم الحجة حتى يتبينوا أنّها ظهرت عليه، والقرآن ظهر على النبي، وعلموا على نبوته، فصار حجة على العالمين.

خاتمة

من خلال تلخيصا لما جاء في كتاب " إعجاز القرآن " للإمام الباقلاني، وبعد عرضنا لمختلف ما جاء فيه من فصول، وقفنا على النتائج الآتية:

1. أبو بكر الباقلاني هو من كبار علماء الأمة المحمدية، حتى عدّه بعضهم مجدد المئة الرابعة.
2. صنّف الباقلاني العديد من المصنفات والمؤلفات، من أبرز مصنفاته هو كتاب إعجاز القرآن، وهو أهم الكتب الرائدة في الإعجاز.
3. تصدّى الباقلاني بكل شراسة لكل من خوّلت له نفسه الطعن في القرآن الكريم بإنكار أنّه معجز، والذين قالوا بالصرفة.
4. بلغ الباقلاني في إعجاز القرآن من العلم، ما لم يبلغه غيره، وقد أصبح مثلا يحتذى به في هذا الميدان، وهذا جلي في كتابه إعجاز القرآن.
5. يرى الباقلاني أنّ الإعجاز واقع في كل آيات القرآن الكريم، فيكون في آيات الأحكام، وفي آيات التوحيد. وإثبات النبوة، وقصص الأنبياء...
6. حقيقة الإعجاز عند الباقلاني أنّه لا يقدر عليه العباد لأنه لو تحققت مقدرتهم لبطل الإعجاز.
7. القضية الأساسية التي ركّز عليها الباقلاني هي انفراد القرآن بالإعجاز.
8. الإعجاز في نظر الباقلاني واقع في نظم القرآن وتأليفه.

فهرس الفهرس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية
11	الر كِتَابٍ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
47، 11	وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿
47، 11	﴿ حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
11	﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾
47، 12	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾
48، 12	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
12	﴿ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾
12	﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذْتَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾
12	﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
13	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

13	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾
14	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
23,17,15	﴿قُلْ لَنْ اِجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَأْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا﴾
17، 16	﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا﴾
16	﴿إِنْ هٰذَا اِلَّا اِخْتِلَاقٌ﴾
17	﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ﴾
17	﴿وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾
17	﴿خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ﴾
17	وقولهم: ﴿وَقَالُوْا يَا اَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ اِنَّكَ لَمَجْنُوْنٌ﴾
17	﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنْ هٰذَا اِلَّا اِفْكٌ اِفْتَرَاهُ وَاَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُوْنَ فَقَدْ جَاءُوْا ظُلْمًا وَزُوْرًا﴾
17	﴿وَيَقُوْلُوْنَ اِنَّا لَتَارِكُوْا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُوْنٍ﴾
17	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيْمَ﴾
17	﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهٗ لِحَافِظُوْنَ﴾
37، 17	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُوْنَ﴾
18	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾
19	﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنْ هٰذَا اِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
21	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلٰى﴾

	الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾
21	﴿قُلْ لِلدِّينِ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾
21	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾
22	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَازِتَابَ الْمُبْتَطِلُونَ﴾
22، 51	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
22	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
24	﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾
27	﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾
27	﴿الْم (1) غَلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾
27	﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾
27	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾
27	﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
27	﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾
27	﴿وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُمْ﴾

	﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾
27	﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾
27	﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾
29	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (69) لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
29	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾
29	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾
29	﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾
33	﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾
36	﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾
36، 37	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾
36	﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾
36	﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾
36	﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾
36	﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾
37	﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾
37	﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾
37	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾
38	﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾

38	﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾
38	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾
46	﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾
46	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾
46	﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
46	﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾
47	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾
47	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
47	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدْرَ نَازِهِ مَنْزِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
48	﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾
48	﴿لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَجْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾
48	﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾
48	﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

	﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
48	﴿ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾
48	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾
48	﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾
49	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
49	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
49	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
49	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾
49	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾
49	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾
49	﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾
50	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾
50	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

50	﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾
51	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
51	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾
51	﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
52	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
52	﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
52	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾
52	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
52	﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾
53	﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾
53	﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدنَا﴾
53	﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَنْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾
53	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمَّ نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾
53	﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ

	لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾
54	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
54	﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾
60	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾
60	﴿طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾
60	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾
60	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾
61	﴿وَمَكْرُوا بِاللَّهِ﴾
61	﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾
61	﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
62	﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
62	﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾
63	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
36	خير معاش الناس...
42	نضر الله عبدا سمع مقالتي...
42	ومن كان همّه الآخرة جمع الله شمله...

فهرس الأعلام

الصفحة	الشخصية
4	أبو بكر الباقلاني
16	امرؤ القيس
18	جبير بن مطعم
32	أبو الحسن الأشعري
35	إبراهيم بن سيّار
35	سلمان بن عبّاد
36	زياد بن معاوية
37	قيس بن عاصم
38	عبد الله بن قيس الجعدي
40	أبو عبادة الوليد بن عبيد

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز، أحمد جمال العمري، الناشر: الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، ط: السنة التاسعة- العدد الثالث- ذو الحجة 1396هـ- 1976م.
2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسين عز الدين بن الأثير، ت: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1415هـ-1994م.
3. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.
4. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، علق عليه وخرّج أحاديثه: أبو عبد الرحمن بن عويضة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: 3، 2016م.
5. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف-مصر، ط: 5، 1997م.
6. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل بن حجر، ت: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، الأجزاء: 8، ط: 1، 1415هـ.
7. تاريخ بغداد، أبو بكر بن علي الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: 1، الأجزاء: 16، 1422هـ-2002م.
8. تقريب المدارك وترتيب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض، ت: جزء 1: ابن تاويناالطنجي، ج 2,3,4: عبد القادر الصحراوي، ج 5: محمد بن شريفة، ج 6,7,8: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، ط: 1، الأجزاء: 8.

9. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:3، الأجزاء:25، 1405هـ-1985م.
10. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الأجزاء:5.
11. الشعر والشعراء، أبو محمد بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، الأجزاء:2، 1423هـ.
12. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421هـ-2001م.
13. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:1، الأجزاء:4، 1411هـ-1990م.
14. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الأجزاء:7.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
	إهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
4	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.
4	المطلب الأول: نسبه وموطنه ووفاته
5	المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه
5	المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته
6	المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
7	المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف
7	المطلب الأول: محتوى الكتاب
8	المطلب الثاني: سبب تأليف الكتاب
9	المطلب الثالث: منهجه في الكتاب
10	المطلب الرابع: مكانة الكتاب وأهم الدراسات حوله
11	المبحث الثالث: ملخص الجزء الأول من الكتاب
20	المطلب الأول: ملخص فصل في أن نبوة النبي معجزتها القرآن، وملخص فصل في الدلالة على أن القرآن معجزة
28	المطلب الثاني: ملخص فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن، وملخص فصل في شرح ما بيّننا من وجوه إعجاز القرآن
39	المطلب الثالث: ملخص فصل في نفي الشعر من القرآن، وملخص فصل في نفي السجع من القرآن وفي ذكر البديع من الكلام
55	المطلب الرابع: ملخص فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن وأيهما أبلغ الشعر أم النثر؟

57	المبحث الرابع: ملخص الجزء الثاني من الكتاب
58	المطلب الأول: ملخص فصل في جوانب إعجاز القرآن وملخص فصل في التحدي وفصل في قدر المعجز من القرآن
59	المطلب الثاني: ملخص في هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة وملخص فصل فيما يتعلق بالإعجاز
62	المطلب الثالث: ملخص فصل في وصف وجوه البلاغة
65	المطلب الرابع: ملخص فصل في حقيقة المعجز وملخص فصل في كلام النبي وأمر تتصل بالإعجاز.
66	خاتمة
75	فهرس الآيات القرآنية
76	فهرس الأحاديث النبوية
77	فهرس الأعلام
78	قائمة المصادر والمراجع
79	فهرس المحتويات